نهـــوض
اليســـار
العربـــي

2

القسم الثاني

حوارات من القاهرة

obeikan.com

obeikan.com

نظم مركز البحوث العربية والإفريقية بالتنسيق مع مؤسسة خالد محيي الدين الثقافية ومركز آفاق اشتراكية والمركز الاجتماعي الديمقراطي والكتلة الإشتراكية للتغيير ندوة لمناقشة كتاب «نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي» للمفكر اللبناني الأستاذ كريم مروة شارك فيها أكثر من خمسين شخصية من كل مواقع اليسار المصري وأجياله المختلفة وذلك يوم الإثنين ١٩ يوليو (تموز) ٢٠١٠، وأدار الندوة كل من حسين عبد الرازق مدير مؤسسة خالد محيي الدين الثقافية، عبد الغفار شكري نائب رئيس مركز البحوث العربية والإفريقية.

وقد ارتأى منظمو الندوة، لعدم توفر نسخ من الكتاب، تصوير الفصل الثاني منه وتوزيعه على المشاركين في الندوة. لذلك فقد اقتصر نقاش المشاركين في الندوة، باستثناء عدد قليل منهم، حول هذا الفصل بالذات.

افتتح الندوة الأستاذ حسين عبد الرزاق بدعوة الأستاذ كريم مروة مؤلف الكتاب لتقديم ملخص مكثف لمحتويات الكتاب. وكان الغرض من هذه المقدمة إطلاع المشاركين في الندوة ممن لم تتح له إمكانية قراءة الكتاب بقسميه وبفصوله. ثم بدأ النقاش.

obeikan.com

حسين عبد الرازق (عضو المجلس الرئاسي لحزب التجمع التقدمي الوحدوي)

شكراً للأستاذ كريم مروة على ما قدمه من تلخيص هام بالنسبة لمن لم يقرأ الكتاب وتقديمه له بإيجاز ووضوح رغبة الإنسان عادة في الإفاضة وليس الإيجاز عند حديثه عن مؤلف خاص به. سنجد في الأوراق الموزعة عليكم أنه حدد اليساري بأنه يمكن أن يكون متأثراً بأفكار الإشتراكية من ماركس حتى اليوم ويمكنه أن يكون عضوا في حزب اشتراكي أو شيوعي أو حزب قومي متأثراً بالإشتراكية ويمكن أن يكون ديمقراطياً بالمعني الواسع للمفهوم. فاليساري الذي يتوجه إليه في هذا الحديث هو الذي يريد لبلده الحرية والتقدم وسيادة العدالة الإجتماعية الذي لا يمكن تحقيقهم إلا بالنضال لإحداث تغيير جوهري في الوضع القائم.

د.عبد الغفار شكري (نائب رئيس مركز البحوث العربية والإفريقية):

أن مناقشة كتاب كريم مروة أمر له أهمية كبيرة لأنه أحد القيادات التاريخية للحزب الشيوعي اللبناني وهو في نفس الوقت مثقف عربي اهتم بقضايا الأمة العربية له علاقات نضالية في معظم الأقطار العربية. أنضم كريم مروة لمن لا يعرف إلى الحزب الشيوعي اللبناني عام ١٩٥٢ وتحمل مسئوليات متدرجة فيه إلى أن وصل لمسئولية نائب الأمين العام عام ١٩٨٤.

وقرر بعد ذلك التخفف من مسئولياته الحزبية ليتفرغ أكثر للعمل الفكري لأنه جمع في مسيرته الطويلة بين العمل السياسي والعمل الحزبي وأحيانا العمل العسكري والعمل الفكري. وقد جعلته مسئولياته داخل الحزب يلعب دوراً رئيسياً بالنسبة لصحافة الحزب وكان آخرها مجلة الطريق، وللأستاذ كريم مروة العديد من المؤلفات والكتب ومئات المقالات والدراسات. من مؤلفاته «نحو

جمهورية ثالثة» و«الشيوعيون الأربعة الكبار في تاريخ لبنان الحديث» و«الفكر العربي وتحولات العصر» و«في البحث عن مستقبل» و«كريم مروة يتذكر» وأخيراً الكتاب الذي يدور حوله النقاش اليوم «نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي». طلبت من ستة من الأصدقاء يمثلون اتجاهات مختلفة أن يقرأوا الكتاب كاملاً وأن يعدوا قراءة نقدية له. سأعطيهم الكلمة أثناء النقاش حتى يكون هناك نوع من التجاوز. هؤلاء الزملاء الأربعة هم د. شريف حتاتة ود. صلاح السروي ود. سامر سليمان والمهندس أحمد بهاء الدين شعبان والأستاذ عبد القادر ياسين والأستاذ مصطفي مجدي الجمال ومن يريد الكلمة يعطيني إسمه.

د. سامر سليمان (أستاذ الاقتصاد السياسي بالجامعة الأمريكية وعضو مجلس تحرير مجلة البوصلة)

مساء الخير أنا سعيد بوجودي للتعليق على كتاب هام للأستاذ كريم مروة. وفر لي منظمو اللقاء الفصل الثاني من الكتاب لأعلق عليه والمعنون بـ «نحو نهضة جديدة لليسار» وهو ما سأعتمد عليه في مناقشتي لأنه لسوء الحظ لم يتح لي فرصة قراءة الكتاب كاملاً.

أحيي بداية المؤلف على الحيوية الذهنية التي تمتع بها الفصل. فقد شعرت دون مبالغة تدفق وحيوية في بعض الأحيان لم أشاهدهما في كتابات شابة. أتفق في الحقيقة مع المواقف السياسية الموجودة في هذا الفصل بشكل شبه تام وهو ما شعرت في البداية أنه سيصعب مهمتي لأن التعليق على كتاب تختلف معه أسهل بكثير جداً من التعليق على كتاب تتفق مع خطوطه العامة. إلا أن ذلك لا ينفي تحفظي الشديد جداً على طريقة عرض الأستاذ كريم مروة للأفكار والمواقف السياسية، ففي رأيي أن الروح المكتوب بها النص تخلو نهائياً من النقد الذاتي. رغم

وجود مواقف أرى أنها جيدة جداً لكنها أيضاً جديدة وكان من المفترض أن يعود بنا الأستاذ كريم كذا خطوة إلى الوراء ليقول لنا لماذا يري هذه المواقف الجديدة صحيحة؟ ولماذا لا يصح استمرار المواقف القديمة؟ وما هي الأرضية الفكرية التي استطاع من خلالها الوصول إلى هذه المواقف؟

أختلف أيضاً مع طريقة استدعاء النصوص لتبرير مواقف جديدة لأني أرى أن مواقف الأستاذ كريم الجديدة قادرة على الدفاع عن ذاتها. فاستدعاء النصوص التاريخية لتدعيم مواقفي تكتنفه روح أصولية كما أنه من الممكن أيضاً لآخرين استدعاء نصوص مخالفة لتلك التي أتيت بها للتأكيد مثلا على مواقف ستالينية قديمة. فلماذا لم تكن هناك محاولة لعمل مراجعة فكرية؟ فلقد أخذ الأستاذ مروة موقف جيد جداً من وجهة نظري في موضوع الدولة.. فلا أحد يعيش في منطقتنا ولا يري أن هناك مشكلة ضخمة في بناء الدولة في العالم العربي من السودان جنوباً إلى لبنان شرقاً وموريتانيا غرباً. وحتى أقدم وأرسخ دولة في المنطقة ممثلة في الدولة المصرية تعاني مشاكل خاصة بفرض سلطة القانون، وهناك الآن أيضاً مشاكل في سيناء.. موقف ناضج جداً أن تتحدث عن فكرة بناء الدولة لكن هذا ليس موقفك منذ ٢٠ سنة.. فلماذا لم تؤصل لهذا التجديد بشكل فكري. ألم يكن الماركسيون مقتنعون بضرورة تحطيم الدولة لفتح الأفق للتحرر الإنساني؟ أنا لا أقف اليوم في هذه المنطقة نهائيا، وأري هذا الكلام طوباوياً وليس له أي محل من الإعراب. ولكن في هذه النقطة لا يجب العودة إلى النصوص التاريخية. فحتى ماركس ولينين لن يخدماني في هذا الموضوع نهائياً..

أري إننا بحاجة إلى تعريف لـ «الدولة» وإخضاع ذلك الذي قدمته الماركسية للتحليل والنقد بما يمكننا بعد ذلك من وضع أسس راسخة لموقعنا الجديد المدافع

عن وجود الدولة مع إصلاحها وإخضاعها لاحتياجات الطبقات العاملة. كنت شخصياً مهتما منذ وقت طويل بموضوع الدولة وقرأت في هذا الموضوع لماركسيين وغيرهم وفشلت في أن أجد تعريف ماركسي للدولة بالمعني العلمي للتعريف. فماركس ولينين وبعدهما بولنتزاس تحدثوا عن الدولة باعتبارها أداة للقهر الطبقي تمتلكها طبقة لقهر الطبقات الأخرى.. لكن هذا التعريف لم يذكر ما هي الدولة أساساً، هو يتكلم عن وظيفة الدولة؟ الفكرة الموجودة عندي هي أن الدولة ببساطة شديدة عبارة عن مجموعة من المؤسسات العامة، من الممكن أن تكون في الواقع تحت سيطرة مجموعة حاكمة تسخرها لمصالحها أو تحت سيطرة ديكتاتور يأخذها في ركابه- لكن تبقي في النهاية فكرة أن الدولة مجموعة من المؤسسات العامة. إذا عرفت الدولة بهذا الشكل يمكن لي أن أتخذ الموقف الذي أتبناه اليوم منها باعتبارها مؤسسة هامة جداً لإدارة شئون المجتمع. أتخيل أنه لابد من الإشارة عند الحديث عن الـ «مجتمع» في أطروحة يسارية أو تحررية، إلى وجود مجال عام ومصالح مشتركة بين الناس تتجاوز المصالح الفردية، أحد أشكال تحققها وتنظيمها والدفاع عنها يتم من خلال الدولة ومن خلال أشكال أخرى مثل الاتحادات النقابية والأحزاب. إلا أن الدولة هي الآن الشكل الأعم والأرقي في مسألة تنظيم المجتمع ولا يمكن تجاوزها. وبالتالي لا يمكنني اليوم تبني هذا الموقف السياسي إلا إذا رجعت وأسست فروضاً نظرية غير موجودة في الكتابات الماركسية الكلاسيكية.

أتفق تماما أيضاً مع تحديد الأستاذ كريم للبرنامج المرحلي على أنه برنامج ديمقراطي وأتفق تماما أيضاً مع البديهية التي حاول التأكيد عليها وأعني بذلك فكرة المرحلية وأن كل مرحلة لها طبيعتها وتناقضاتها ومطالبها. فلا يوجد ناس يناضلون في الفراغ. تقول قراءة الأستاذ كريم أن القضية المحورية هي الديمقراطية

بالمعني الواسع للكلمة. أوافق تماما على هذا الإستنتاج وإن كان عندي سؤال ماذا يفرق بين اليسار وأي تيار ديمقراطي آخر؟ فماذا يفرق بين اليسار والليبرالية؟ أقف هنا عند أن فكرة النضال الإجتماعي في كتاب الأستاذ مروة ليست بالوضوح الكافي. لن يكون الفارق بين اليسار والتيار الليبرالي واضحا إذا تحدثنا عن الديمقراطية فقط. فالمفصلي والمحوري في اليسار وما يعرفه ويحدده في رأيي هو الإيمان بنظرية القيمة في العمل والتي أرى أنها أهم ما كتبه ماركس. فنظرية ماركس في الدولة وكتابات لينين من بعده في هذا المجال ضعيفة جداً وغير مؤسسة لكن الإسهام الحقيقي الماركسي والذي أعتقد أنه مازال صامداً إلى اليوم هي نظرية القيمة في العمل التي لم تستطع كل النظريات التي حاولت نقدها سوي أن تضع هوامش عليها. الأصل في الموضوع أن أي منتج بشري يحتاج إلى العمل وأي قاعدة إنتاجية للمجتمع، الصناعة، الزراعة أنتجها العمل. التقط ماركس هذه الفكرة من بعض المفكرين الكلاسيك وأوصلها إلى نهايتها وبني عليها فكرة حق الطبقة العاملة في ناتج عملها باعتبارها المنتج الحقيقي. أهم تحفظ على هذه النظرية طرحه شومبيتر عن «المنظم» على اعتبار أن الطبقة العاملة ليست الوحيدة المشاركة في العملية الإنتاجية وأن أي عملية إنتاج لمنتج معين بحاجة إلى منظم لها. محاولاً بذلك إعطاء دور للرأسماليين في عملية الإنتاج بحيث يخرجون عن دائرة الطفيلية في حالة ما ارتبطوا بتنظيم العملية الإنتاجية وتواجدوا في أماكن عملهم لتنظيم العمل. بهذا المعني الرأسمالية طبقة ضرورية بقدر ما هي تقوم بتنظيم الإنتاج، وهي طبقة يمكن الإستغناء عنها بقدر ما يمكن تنظيم الإنتاج من خلال الدولة أو من خلال اتحادات وتنظيمات أصحاب العمل من العمال والمهندسين والمحاسبين وغيرهم. نحن الآن لا نمتلك برنامج عملي لإدارة العمال والدولة للإصول الإنتاجية في المجتمع. وعلي هذا فالاشتراكية قضية مؤجلة. لكن تأجيلها لا يجب أن يحصر اليسار في النضال

الديمقراطي بشكله السياسي. فاليسار لابد وأن يبحث دائماً عن أشكال لتنظيم الإنتاج من قبل المنتجين والعمال (التعاونيات مثلاً) ويجب عليه أيضاً أن يناضل من أجل أن تتجاوز الديمقراطية الحدود السياسية لكي تصل إلى الديمقراطية الإجتماعية والإقتصادية والتي وإن لم تكن ستزيل الطبقة الرأسمالية إلا أنها ستحد من توحشها.

أ.عبد الشكور حسين (كاتب سياسي)

تقول الدراسة التي قام بها الأستاذ كريم مروة أن هناك يساريين دخلوا في فتن طائفية ودمروا مجتمعاتهم وبالذات في لبنان وبعض البلدان المجاورة لها. وتستثني من ذلك الشيوعيين في مصر وتونس وبعض البلدان الأخرى. ويدل ذلك على ضيق النظر في المحل الأول. يزعج السيد كريم مروة أمران في الماركسية : هما الدولة والطبقة العاملة. تعني الطبقة العاملة في حدود قراءاتي في الماركسية حاملا لهموم الإنسانية والطبقات الأخرى ومنقذا لها وليس أبدا ما فهمه السيد كريم مروة. من يقف وراء مثل ما يقوله الأستاذ كريم يريد أن يموِّه العمود الفقري للصراع في الإنسانية اليوم لكي يمكنوا الرأسمالية المتوحشة من الإنتفاع.

يصف الأستاذ كريم مروة ود. سامر سليمان نفسهما بأنهما ماركسيان لكن الماركسي درس الدولة على أنها مؤسسة قهر تتكون من الشرطة والجيش يطالب الأستاذان كريم مروة وسامر سليمان بالدولة الرشيدة التي لا يمكن إنجازها في الواقع لأنها محض مقولات رأسمالية للضحك على الشعوب. فالدولة الرشيدة لا تقيم إلا سلطة الطبقة العاملة وحلفاءها والكادحين. أما غير ذلك فيريدون أن يشغلونكم به عما هو رئيسي. ولا أريد أن أطيل وإن كان في كتاب السيد كريم مروة أخطاء كثيرة تحتاج إلى تصحيح.

د.عبد الغفار شكر (نائب رئيس مركز البحوث العربية والإفريقية):

من الواضح أن المناقشة تحفل منذ بدايتها بتنوع في الآراء. أريد أن أقول : أن الأستاذ كريم مروة شخصية مثيرة للجدل ولا يضيق بهذا النقاش والتنوع في الآراء وهذا جيد لأن الحاضرين قيادات سياسية وفكرية وعندهم إمكانيات لاستيعاب مثل هذه الاتجاهات المتعددة في الآراء.

مصطفي مجدي الجمال : (باحث بمركز البحوث العربية والإفريقية):

الأستاذ كريم مروة قيمة كبيرة في حياتنا الفكرية، بل وحتى الشخصية. أذكر أن كتاباته في السبعينيات كانت ملهمة جداً لي ولزملائي، خاصة فيما يتصل بنقد الأفكار اليسارية المتطرفة التي ربما كانت تصادف وقتها هوي في نفوس البعض، رغم أننا في الوقت نفسه كنا نشعر بقلق داخلي حقيقي تجاه تلك الأفكار- رغم شدة الإنبهار أمامها- على الأقل من زاوية جدواها أو قدرتنا على ترجمتها في الواقع العملي.

وبمناسبة كتاب الأستاذ كريم مروة الجديد فإنني أمتدح قدرته في إطلاق الحوار وإثارة التفكير في وقت عزّت فيه هذه القدرات، وجرأته في طرح آرائه- حتى تلك التي سأختلف معها- بوضوح يُحمد له ودون التفاف أو محاولات للتعمية أو التغليف الخادع. وكذلك أهنئه على هذه القدرة في الإجمال والتعميم، فهو لم يتركنا أمام شذرات فكرية هنا وهناك، إنما أجملها في النهاية فيما رآه مشروعاً لنهضة جديدة لليسار في العالم العربي، وإن لم يزعم بالطبع أنه مشروع نهائي أو مكتمل أو غير قابل للتطوير والإثراء من قبل آخرين.

كم كان كريم مروة موفقاً حينما خصص عددًا كبيراً من الصفحات لنصوص

ماركسية لا تزال بالغة القيمة حتى اليوم، وفي الظروف الرمادية المرتبكة التي نعيشها. ولعلّي أركز بشكل خاص على المغزي الذي تفوح به تلك النصوص أكثر من مضمونها الحرفي. فهي- أي النصوص- تبين لنا بمنتهي الوضوح المنهج الجدلي العلمي الذي اتسم به مؤسسو الماركسية ومطوروها وما امتلكوه من نزعة إنسانية عميقة، ومرونة فائقة إزاء الظروف ومستجدات التاريخ التي لا تنتهي، وتسلحهم بالموضوعية وعدم الإنجراف وراء النزعات الإرادية المبالغة، أو الرضوخ البليد للواقع الظالم، وأخيرًا- وليس آخرًا- قدرتهم الفذة على التطبيق الفعال في الزمان والمكان المحددين.

كل هذا يدعونا إلى إعادة التأكيد على «تاريخانية» النصوص، وأن نتعلم منها بالدرجة الأولي قدرة أولئك المفكرين على تطبيق المنهج الجدلي في الظروف والملابسات التي واجهتهم. كما يجب أن نستخلص منها أن إبداعهم النظري المهم جداً كان إبداع مناضلين متفاعلين إلى أقصي الحدود مع الحركات الجماهيرية والطبقية، وأيضاً مع مستجدات العلوم وإنجازاتها المتراكمة. أي أنه لم يكن إبداع مفكرين عباقرة معزولين أو منعزلين أو حالمين. من ثم أستخلص أن أي إبداع نظري أو حتى سياسي يجب أن يكون ثمرة حوار خصب لعقل الجماعة «الثورية» في الوطن والإقليم والعالم.

بعد هذه المقدمة التي طالت أؤكد أنني لا أنوي مناقشة أسلوب تبويب أو تناول الكتاب لموضوعاته، وإنما سأركز على مناقشة بعضٍ من الأفكار المهمة الكثيرة التي وردت به.

أول ردة فعل تبدت على أثناء القراءة، أنني سألت نفسي: ترى هل تعود الماركسية «غريبة» كما بدأت؟ وهل نحن بصدد إعادة البناء النظري من نقطة

الصفر؟ وهو سؤال له علاقة بتفاعلات وتداعيات فكرية خاصة بي، ولا ألصقها عنوة بالأستاذ كريم مروة.

إن الماركسية قد شيدت- ولا شك- «إمبراطورية» فكرية متماسكة في مرحلة متوسطة من عمرها، وبقدر ما كان هذا مظهراً من مظاهر القوة، فقد كان أيضاً من مظاهر «الطغيان» الذي شلّ القدرات الإبداعية على المستويين الإقليمي والوطني. خاصةً وأن هذه «الإمبراطورية» كان لها في وقت من الأوقات «فاتيكانها» الخاص، الذي يفرض قوانينها «السرمدية» الأشبه بقوانين الطبيعة، والمتسلحة للأسف بفرمانات «الحرمان الكنسي» في صورة الاتهامات المتعالية بالإنحرافات اليمينية واليسارية «الإنتهازية»، دون أن تمنح المناضلين في الميادين الصراعية شديدة التنوع حق الاجتهاد أو التفاعل مع سياقاتها الخاصة.

وأرجو ألا أكون شديد القسوة حين أقول إن التقدميين في العالم العربي اضطروا (تحت ضغوط الصراعات الدولية، خاصة في فترة الحرب الباردة، وبفعل قوة الإنبهار بالنموذج السوفييتي والصيني بعد ذلك عند البعض..) اضطروا إلى إدمان الحصول على «المنتجات النظرية وحتى السياسية والتكتيكية الجاهزة»، دون إجراء حساب دقيق لنتائجها على حركتهم في واقعهم المباشر، بل وحتى دون تحليل مادي تاريخي يُعتد به لهذا الواقع.

نتيجةً لهذه الوضعية القاصرة لم ينقطع الحديث عن أزمات في الفكر الماركسي في مراحل تاريخية مختلفة نوعياً. وإذا نظرنا فقط للنصف الثاني من القرن العشرين، فقد كانت هناك مثلاً أزمات فكرية كبري حول الموقف السليم من البرجوازيات الوطنية، والموقف من الفلاحين وهل يمكن اعتبارهم قوة ثورية أساسية، وحول إمكانية التطور غير الرأسمالي ودور المثقفين والطلاب والبرجوازية الصغيرة

والعسكرتاريا والزعامات الكاريزمية، وحول إمكانية بناء الإشتراكية عن طريق البرلمان والموقف من حرب العصابات الثورية، وحول المسألة اليهودية وإمكانية الاعتراف بقومية يهودية أو دولة صهيونية استيطانية، وحول التعاطي مع المنجزات المتلاحقة للثورة العلمية والتكنولوجية، وحول الإنفراج أو الوفاق الدولي، وحول البيروسترويكا... هذا مجرد غيض من فيض.

وفي كل مرة يتداعي حديث الأزمة كانت هناك مشروعات عديدة للخروج من الأزمة. ولكن يؤسفني القول إن معظم المشروعات التي صيغت وطرحت في العالم العربي كانت مشروعات لا تغادر الأوراق، أي مشروعات بلا أجنحة وغير قادرة على الإقلاع من مكانها، أو إلهام الجمهور. لماذا؟

أقول : إننا قد دأبنا على الذهاب إلى التجريد قبل أن نكوّن معرفة صافية بالواقع الملموس. ومن ثم نسارع إلى وضع القواعد ورسم المسارات قبل النظر المليّ في التنوع القائم بالواقع المباشر. وأضيف أن معظم المشروعات التي طُرحت علينا في المراحل المتلاحقة لم تكن نتاجًا لجهد جماعي بقدر ما كانت إعمالاً لقريحة فردية.

يجب أيضاً على مشروعات الخروج من الأزمة- وهذا من نافلة القول- أن تراعي السياقات الإقليمية والدولية (وهو ما حاول كريم مروة القيام به في كتابه، وإن تظل هناك اختلافات بالطبع حول قراءة السياقات ذاتها)، وسياقات التطور المجتمعي المحدد، كما يجب أن تتسم مشروعات الخروج من الأزمة بما أسميه التوازن السيكلوجي (بمعني عدم الإفراط في جلد الذات أو الدفاع عنها) وعدم التهرب من الأسئلة الكبري والأسئلة المباشرة على السواء، دون أن تعتبر بالطبع أنها تقدم إجابات نهائية نموذجية.

الأخطر من هذا أنني لا أتصور مشروعاً للخروج من الأزمة- ناهيك عن

مشروع للنهضة- لا يبدأ بالنقد الذاتي لليسار في البلد والإقليم المعنيين على الأقل. وهذا للأسف ما لم أعثر على أثر له في كتاب الأستاذ كريم مروة.

وأظن- وأحسبني على حق- أن أي مشروع من النوع الذي نتحدث عنه يجب أن يبدأ من التحليل والتنظير وتقديم الجديد السياسي والتنظيمي على المستوي الوطني، ولا أقول المحلي، وأن يهتم بالعمل على ما أسميه «توطين» الفكر الإشتراكي. ذلك لأن الماركسية مثلاً لا تزال «غريبة» في المجتمعات العربية، حتى على مستوي اللغة والمصطلح، ناهيك عن رؤيتها للعالم ومنظورها التحليلي.. ونحن في البلدان العربية لم نقدم للماركسية ما يمكن أن يُغنيها نظرياً على المستوي العالمي، أو على مستوي واقعنا الوطني والإقليمي من خلال إبداع رؤي جديدة، والسبب كما أسلفنا هو تقديس النصوص وتمجيد النموذج. ومن المتصور أن تكامل وثراء الإبداعات المختلفة في شتي أقاليم العالم هي التي ستغنى الماركسية بحق، ويجعلها «ذات صلة» وقابلة للحياة.

كما ألاحظ على «المشروع» المقدم من الأستاذ كريم مروة أنه لا يربط الأهداف (التي سأفترض أنها محددة موضوعياً لا ذاتياً) بالقوى القادرة على القيام بها، ولن أتطرف فأقول إنه لم يربطها بالوسائل اللازمة للتنفيذ.

يري الكثيرون أن البداية الحقة تتمثل في نقد «اشتراكية القرن العشرين». ولا غبار على هذا، ولكن النقد الذاتي- الذي نؤيده بالطبع- يجب أن ينصب أساسًا وأولاً على ممارسات كل فصيل ماركسي في بلده، ولا يمنع هذا بالطبع من توجيه جهد «ثانٍ» لمراجعة التجربة ككل وفي البلدان الأخرى، بل وحتى مراجعة الاجتهادات النظرية المختلفة بعد وضعها في سياقاتها.

غير أن هناك نقطة خاصة بما يمكن أن يقوم به الماركسيون في العالم العربي في

مجال المراجعة النظرية، والتنظير الوطني، وهي أنه ليست لدينا مؤسسات حزبية أو معاهد قادرة على القيام باستخلاص نظري لمجريات الماضي وتطورات العصر، أو تكون قادرة على الأقل على الهضم النقدي لمخرجات الفكر الإشتراكي العالمي في العقدين الماضيين على الأقل. وهذا بطبيعة الحال يصب لمصلحة الأستاذ كريم مروة الذي يحاول بجهده الفردي سد هذه الثغرة، وإن كان هذا يسم مشروعه بالطابع الفردي الذي لا مفر منه حتى الآن، ما لم يكن المشروع المذكور شرارة لعمل جماعي كبير.

إزاء هذا كله، يدعونا التواضع المحمود- في ظل هذا الظرف المفهوم- إلى أن نركز على التجديد السياسي والتنظيمي، وأن نتلقف المبادرات الجماهيرية والمحلية بروح أكثر انفتاحًا، بقصد التعلم والتطوير، وليس برغبة السيطرة والإستيعاب.

عند هذه النقطة أقول : إن هناك علامات مهمة على الطريق يجب أن نمر بها قبل المسارعة ببلورة، أو الادعاء ببلورة، مشروع للنهضة، حتى مع الإعتراف بكونه مشروعًا/ عملية قابلة للتجديد المتواصل. وأوجز علامات الطريق هذه فيما يلي:

أولاً: ضرورة تحديد مواقف واضحة من قضايا تاريخية لها أهمية ملحة في نضالنا الحالي، مثل: الموقف من القومية العربية، أرض فلسطين التاريخية، أطروحة «القومية» اليهودية، الستالينية، البيروسترويكا، النموذج السوفييتي والصيني والكوبي..إلخ..

ثانيًا: حسم نسبي لمسألة المرجعية، مع مراعاة أن الإشتراكية كانت قائمة قبل ماركس ولينين، وبعدهما. كما يجب حسم العلاقة بين المرجعية والممارسة المحلية، وماذا أيضاً عن مرجعياتنا المحلية؟

ثالثًا: ضرورة أن تتسم اجتهاداتنا بتعدد مستويات التحليل (دولية، إقليمية،

محلية) ورصد التفاعلات بينها، وتحديد مركز ثقل هذه المستويات الذي يتغير من مرحلة لأخرى.

رابعًا: حسم أوليّ لقضايا شديدة الأهمية من قبيل: الإصلاح أم الثورة؟، القوى الطبقية التي «نراهن» عليها مع رصد متغيراتها، كُنْه وطبيعة الإطار أو الأطر الحزبية والجبهوية التي نتحرك فيها، ما هي العلاقة بين قضايا النضال المختلفة (الإقتصادية، الديمقراطية، الوطنية، القومية، الأممية،..) وما هي الحلقة الرئيسية في المرحلة المحددة بالبلد المعني، ما طبيعة وحجم الدور الذي يلعبه العامل الثقافي في قضايا ملحة بأوطاننا مثل الطائفية والدين السياسي والتنوير والأبوية..، ثم ما هو الموقف من الحركات الاجتماعية التقليدية والجديدة، وكيف يمكن إدراجها في النضال السياسي العام، وكيف يمكن بناء وعي سياسي جديد قائم على أسس طبقية واضحة في ظل انشغال قيادات يسارية كثيرة بالنشاط الحقوقي والتنموي في المنظمات الأهلية..

أنتقل إلى ملاحظة قد يراها البعض شكلية، وهي ليست كذلك. فالأستاذ كريم مروة عنون كتابه كالآتي «نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي». وقد كان واضحًا في استبعاده لتعبير «اليسار العربي». ومع ذلك فإنه لم يفسر لنا ما الذي يوحد هذا «العالم العربي»، أو يوحد «اليسار» في هذا العالم العربي، وما علاقة هذا بوجود سمات ثقافية ونضالية خاصة باليسار في كل بلد عربي.

والآن، بعد المناقشة المنهجية السابقة، أنتقل إلى مناقشة بعض القضايا التفصيلية في الكتاب/ المشروع.

(١) وردت بالكتاب صفحة ٥٩ فقرة أظن أنها غير موفقة بالمرة، أقتبسها كاملة حتى لا أستخدم منهج «لا تقربوا الصلاة»!!. تتحدث الفقرة عن «الهزائم العسكرية

المتتالية التي أسفرت عنها مغامرات قادة هذه النظم وحلفائها هنا وهناك في الحروب مع إسرائيل تحت الشعار الزائف «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة». ويضيف الكاتب: «وهذا هو الوضع بالذات وهو الذي أدي إلى أن تستولي الغرائز والمشاعر، بدلاً من العقل والعقلانية، على سلوك كثرة من الناس في تعاملهم مع أحداث حياتهم الخاصة، ومع الأحداث المأساوية التي تشهدها بلداننا»- انتهي الإقتباس.

وفي البداية أسجل اعتراضي الشديد الذي يصور الهزائم التي عرفتها المنطقة العربية بشكل يوحي أنها جاءت نتيجة «مغامرات» القادة فحسب. لو كانت العبارة أن المغامرات والنزعة غير العقلانية قد أسهمت في الهزائم، لما كانت هناك مشكلة مع الصياغة. ترى ألم تكن الهزائم نتيجة حتمية أيضاً للتواطؤ والعدوان الإمبريالي؟. ثم إذا أخذنا مثلاً حرب ١٩٥٦ التي انتهت بهزيمة عسكرية ونصر سياسي، هل يمكن القول : إن تأميم قناة السويس كان مغامرة غير عقلانية؟ ولماذا هذه المبالغة في إدانة شعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة».. ألم يرفع الحزب الشيوعي السوفييتي شعار «كل شيء من أجل الجبهة.. كل شيء من أجل النصر»؟ وهو الشعار الذي امتدحه كل الشيوعيين والرأسماليين في العالم.

ولا تفوتني الإشارة إلى عبارة «الحلفاء هنا وهناك».. فهل يقصد الأستاذ كريم مروة أن الاتحاد السوفييتي هو الذي ورط عبد الناصر في حروب مصر؟ أم أن العبارة منصرفة حصرياً للإيماء إلى حزب الله وعلاقته بإيران وسوريا. إن كان التفسير الأخير مقبولاً منه فلما لم يكن الكاتب صريحًا في حديثه.

(٢) اجتهد الأستاذ كريم مروة اجتهادًا محمودًا في تطوير تعريف «اليسار». ولكن الأمر لا يخلو من خلاف. ففي صفحة ٦٦ يُدخل ضمن تعريف اليساري ما يلي: «يمكن أن يكون اليساري ديمقراطياً بالمعني الواسع للمفهوم». فإذا كان

يقصد مفهوم «الديمقراطية الاجتماعية» فلا ضرر عندي، ولكن إذا كان هذا النطاق الواسع يضم «ديمقراطيين سياسيين فقط» (ولو مرحليًا) فهو غير مقنع بالمرة عندي؛ لأنه يحذف الأساس الطبقي للمفهوم تمامًا.

كما يُدخل الأستاذ كريم مروة في تعريفه لليساري أن يكون المرء «عضوًا في حزب قومي متأثراً بالإشتراكية». ولا مانع عندي في هذا أيضًا. ولكن أليست القومية بعدًا وسمة ثقافية بدرجة أولي، ومن ثم أتساءل: «هل يمكن أن يأتي اليساري أيضاً من أرضية دينية»؟ إنه سؤال عويص. ليست لدي أي إجابة عن هذه الاحتمالية حتى الآن، ولكنه من التداعيات المنطقية للتعريف المقدم.

(٣) يتحدث الأستاذ كريم مروة في صفحة ٧٨ عن مبدأ الفصل بين السلطات. وكان حرياً به أن يقول : إن اجتهاده هذا هو تطوير أو نقض لنظرية الدولة في الماركسية، مع العلم بأنه لا مانع لدي من الأصل للتعاطي الجدلي مع مقولة من هذا القبيل. ولكن ألم يكن من الأفضل وضع هذا المبدأ في إطار النضال الدستوري فحسب، لأنه- علمياً ونظرياً وعملياً - لن يكون هناك هذا النوع من الفصل بين السلطات إلا في يوتوبيا ديمقراطية.

ثم يتحدث الكاتب عن ضرورة الشراكة والتكامل بين مؤسسات المجتمع وبين الدولة، ويصنّف بين هذه المؤسسات «جمعيات أرباب المال والعمل» (وأظنه يقصد بـ«العمل» هنا البزنس أو «رواد الأعمال» وليس القوى العاملة، خصوصًا وأنه سبق وأن أفرد فقرة للنقابات. وهو طرح جديد، أتمني من الأستاذ كريم مروة أن يدعمه بشواهد واقعية؛ لأنه يصعب على كثيرين المراهنة على شراكة سيكون فيها سعد الحريري وجعجع، أو سلام فياض ودحلان، أو نجيب ساويرس وأحمد عز، أو كبار الماليين في الخليج..إلخ.

وحتى إن تحققت هذه الشراكة فهل يتصور أنها كافية لتحقيق تغييرات جذرية، أم لإدحال بعض الإصلاحات الكميّة؟ خاصة وأنه بافتراض أن مؤسسات المجتمع ستكون راديكالية بأكملها، يصعب على تصور أن تكون الدولة نفسها كذلك.

(٤) في صفحة ٨٣ يتحدث الكاتب عن ضرورة «سياسة جديدة لاستثمار الثروة في بلداننا». وهو مطلب أؤيده بكل قوة. ولكن يُلاحَظ أن يأتي هذا في مشروع يغالي- إن لم يخنّي التعبير- في تقديس السيادة الوطنية للبلدان العربية (من الواضح أن الشأن اللبناني- السوري يلقي بظلال قوية جداً هنا).. فما هو الأساس الذي يمكن أن تقوم عليه دعوتنا للخليجيين وبلدان نفطية أخرى في العراق وشمال إفريقيا، إلى تصريف ثرواتهم على النحو المحمود الذي نقترحه؟ لا اعتراض لي بالمرة، ولكن ألم يكن من الأوجب أن تنطلق هذه الدعوة من منظور قومي حتى لا تظل دعوة في الفراغ؟

(٥) عندما تعرض الأستاذ كريم مروة للقضايا الاقتصادية والإجتماعية، فصّل تفصيلاً مفيدًا، إلا أن الملاحظة القوية هنا هي تعرضه لتلك القضايا من منظورين لا ثالث لهما: المنظور الحقوقي، والمنظور التنموي. وللأسف لم ينجح في أن يضع معالجاته القيمة هنا في سياق إحداث تغيير حقيقي في علاقات الملكية. وهذا هو بيت القصيد في المشروع الذي بين أيدينا.

الخلاصة هنا أننا أمام برنامج طموح لدولة برجوازية وطنية رشيدة، وليس برنامجًا استراتيجياً لإجراء تغيير جذري وحقيقي. ولو كان الكاتب قد صرح بأنه يطرح برنامجًا مرحلياً لما كانت هناك مشكلة. وحتى بالنسبة لهذا البرنامج المرحلي، أين هي أدلته الموضوعية/ المادية على وجود هكذا برجوازية وطنية مستنيرة.

والأخطر من هذا كله أنني لم أصادف في التحليل المقدم إضافات نوعية كنت

أنتظرها في رصد الدور الوظيفي للصهيونية، أو العولمة المسلحة، أو الإمبريالية الجماعية، أو إمكانية نشوء تجمعات إقليمية أو تحركات عربية مقاومة للإمبريالية.. ونحن جميعاً مشتركون في هذا التقصير مع الكاتب، ولا نخصه به.

ختام حديثي أن المشروع المقدم هو مشروع ديمقراطي. وفي ظني أنه لا يجوز أن ننتظر تحولاً ديمقراطياً شاملاً في أوطاننا بمعزل عن تغيير اجتماعي جذري، وموقف وطني وقومي صلب.

أ.محمد فرج : (أمين عام مساعد حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي):

من الممكن ألا نختلف على المهام المختلفة المذكورة في فصل الكتاب الذي قمنا بقراءته. فبدّء من التسعينيات بدأ الحديث عن عدم المجابهة بطرح المهام الصعبة أو المستحيلة. لا أعتقد في ما قاله د. سامر بأن الماركسية ليس عندها تعريف للدولة بل على العكس من ذلك أرى أن الماركسية واضحة تماما في هذا الشأن، فالعمود الفقري للتحليل الماركسي يتمثل في موضوع الدولة وتاريخيتها وتطور المجتمعات الذي تحتل فيها سلطة الدولة والطبقة أو الكتلة الاجتماعية الحاملة للتغيير مكانة أساسية والتعريف العام للدولة ليس بالبساطة الذي يبدو عليها عندما نحاول أن نجرد ونختصر فنقول : أن الدولة أداة للقهر الطبقي. نعم أنها كذلك ليس فقط بمعني الجيش والشرطة ولكن أيضاً القهر المادي وإدارة الصراع الطبقي والهيمنة عبر الأجهزة الأيديولوجية للدولة ممثلة في المسجد والكنيسة ومؤسسات التعليم والإعلام.. الخ. تقهر عادة الدولة وتقمع بقوي ناعمة وليس القمع بمعني القتل والسجن.. إلخ. في موضوع إمكانية استقلالية سلطة الدولة وأجهزتها السياسية عن الطبقات، أعتقد أن ماركس نفسه له تعريف لتلك الحالة في دراسته «الثامن عشر من برومبير».

هناك نقطة أساسية أود الحديث عنها وأسميها بالقضية الغائبة في تحليل الأستاذ كريم مروة. أستطيع أن أتفق مع البرنامج.. أتفق..... مع فكرة المرحلية لأنني ممن تربوا في السبعينيات على ربط المرحلية بالإستراتيجية وأن التكتيك الذي لا يخدم الإستراتيجية خطر شديد، لست تروتسكياً ومع ذلك أقول : أني تعلمت من تروتسكي في هذا الشأن لكن القضية الغائبة في تحليل الأستاذ كريم مروة أنه طالما أن هناك يسار جديد في عالم جديد وظواهر جديدة، فبالتالي هناك يسار متنوع ومتسع إلى هذه الدرجة يعبر عن القوى الإجتماعية الموجودة في المجتمع: والسؤال هنا هل التنوع مجرد تنوع لنزاعات فكرية أم أنه يعكس اتساع قوي اجتماعية عريضة في المجتمع أوسع من الطبقة العاملة.. إلخ؟ السؤال الثاني هل يستطيع هذا اليسار النضال من خلال الشكل التنظيمي القديم الذي ابتدعه لينين؟ لا أقصد بذلك المركزية الديمقراطية فقط وإنما وحدانية التنظيم الثوري أيضا. فهل لا يزال التنظيم الوحيد اليسارى إذا كان متنوعاً هو الحزب الشيوعي أم أنه من الممكن كما يفرز الواقع أن يكون هناك يسار متنوع بتنظيمات متعددة تعترف ببعضها؟ فيكون هناك كما هو الحال في مصر الحزب الشيوعي وحزب الشعب يعترف كل منهما بالآخر كحزب شيوعي ثم هناك حزب إصلاحي هو التجمع يعترف الحزبان الثوريان به. سؤال آخر: هل ذلك مسار للثراء أم أنه يعمل ضد العملية الثورية. أيضاً ما هي إمكانية وجود تنوع في الفكر داخل الحزب الواحد سواء كان الحزب الشيوعي أم التجمع؟ ويطرح ذلك أيضاً سؤالا حول العلاقة الجدلية بين الأغلبية والأقلية؟ فهل تحكم الأغلبية وتخضع الأقلية لها أم تقود الأغلبية ولكن في ظل وجود أساليب جديدة ولوائح جديدة تتيح للأقليات التعبير عن نفسها في القيادة؟ أعتقد أننا نبحث ذلك في التجمع ولا نطبقه ولم نحققه بعد للأسف الشديد!! حيث لا نزال نعمل وفق الجانب الفكري الأساسي في المركزية الديمقراطية، المتمثل في تطبيقها

التنظيمي المباشر في حكم الأغلبية المنتخبة وانتظار الأقلية لخمس سنوات حتى يمكنها العودة للتأثير في القرار مرة أخرى أو لا تعود أبدا!!

د.محمد سعيد دوير (أستاذ فلسفة)

تجديد الفكر الاشتراكي

تحية وتقدير:

لم تتح لي أو لغيري الفرصة في الترحيب بالمناضل والمفكر والسياسي القدير الأستاذ كريم مروة، أثناء الندوة التي أقامها مركز البحوث العربية والإفريقية بمكتبة خالد محيي الدين بحزب التجمع في ١٩ / ٧ / ٢٠١٠. وربما كانت هذه الورقة مناسبة لتسجيل تحية تقدير واحترام لشيوعي عربي عكست مسيرته العملية ومساره الفكري روح المناضل الصلب وجدلية الفكر المتجدد الذي ظل يبحث في شعاب الطريق وحياة البشر ومنعرجات التاريخ عن أفق يساري رحب يستطيع أن ينقلنا من حالة التشتت والمراجعات الي مرحلة أكثر تقدمية وإنسانية وحرية نحو بناء اشتراكية جديدة تتحقق من خلالها طموحات الشعوب العربية في النهضة والتقدم، فتحية الي أستاذنا ومعلمنا الكبير، تحية تليق بنضالاته وتضحياته وإيمانه العميق بقيمة الإنسان في الوطن العربي.

اليسار العربي:

انشغل الأستاذ كريم مروة منذ سنوات خلت ببرنامج يساري نهضوي عربي جديد يراه مدخلا هاما للقرن الواحد والعشرين، ومنفذا ضروريا للحداثة والتحديث والتقدم وبناء الدولة الحديثة. وقد طرح مثل هذه الأفكار في أكثر من ندوة أو مقال أو كتاب، من بينها علي سبيل المثال مقاله الهام: خواطر وأفكار حول

اليسار العربي ، واقع ومهمات وآفاق بمجلة الطريق ، مارس – ابريل ١٩٩٦، وكذا كتابه الهام « نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي ». وفي هذه الورقة سوف نحاول عرض وتناول بعض قضايا الكتاب من منظور تحليلي وعلي صعيد نقدي يحاول الكشف عن نقاط الاتفاق أو الاختلاف ما موضوعات تهم القاريء العربي علي اختلاف انتماءاته الفكرية والسياسية.

الكتاب في مضمونه يحمل فكرتين أساسيتين الأولي نقده للفكر الاشتراكي التقليدي وطرق التفكير المحدودة التي تنطلق من مقولات الاشتراكية الكلاسيكية ثم تطبيقات هذا الفكر علي مجتمع تقليدي أيضا تقف فيه الثنائيات المتضادة « الطبقة العاملة والرأسمالية » التقدمي والرجعي « البناء الفوقي والبناء التحتي » الخ . واصفا هذا التفكير التقليدي بالتعصب والسلفية وتشويه تجارب الآخرين إضافة الي إنه لم يسهم بشكل فعال في النهضة العربية الحديثة وترسيخ قيم ومفاهيم حرية التعبير والديمقراطية.

أما الفكرة الثانية فهي الدعوة الي مشروع نهضوي عربي يساري جديد، رآه جورج البطل يتم من خلال حزب تعددي كبير في لبنان يقوم بمهمة إعادة الدولة الي طبيعتها التقليدية بعد إن اختطفتها الطوائف، بينما رآه كريم مروة تيار جبهوي كبير يضم الشيوعيين والقوميين والديمقراطيين بالمعني الواسع من اجل انجار نهضة عربية حداثية كبيرة.

وإذ تقوم مهمة هذا اليسار الجديد علي تحديد دقيق وواقعي للهداف الممكنة التحقق، التي هي الانتقال من حالتي التخلف والاستبداد الي الحرية والتقدم واحترام حقوق الإنسان، أما التحول الاشتراكي فلم يأت بعد وسيحتاج مهام أخري. ومروة هنا كيساري اشتراكي يري أن المهمة الأولي في هذا الظرف التاريخي

هي إقامة دولة حديثة، دولة الحق والقانون دولة المؤسسات الديمقراطية. هذا عن أهم أفكار الكتاب المدعم بالعديد من النصوص لآباء الاشتراكية في العالم.

تجديد الفكر الاشتراكي:

أما عن منظوري الفكري أو تصوري المتعلق بما أطلق عليه «تجديد الفكر الاشتراكي» فانه لا يتوافق كثيرا ما هذا التصور الموسع الذي تناوله أستاذنا كريم مروة لأنني مازلت اعتقد أن المشروع الفكري العربي الاشتراكي مازال لم يكتمل بعد وبناء عليه فانه من الضروري وضع أجندة فكرية ونظرية وعملية متكاملة تتبلور فياه الذاتية الاشتراكية وتكون متوافقة في الوقت ذاته مع كل متطلبات الحداثة.

إن بشرية الفكر الإنساني تعني في جوهر معناه قابليته للتجديد بحسب مقتضي الأحوال، والتجديد هنا لا يعني انقلابا كليا شاملا و إلا تغير الشيء نفسه فصار شيئا آخر، ولكن التجديد يعني جعل الشيء الفكرة أو الموضوع أو النسق معاصرا لمن يتعاطاه أو يتناوله أو يتماهي مع معطياته.بحيث يظل الجوهر كما هو أو التوجه العام علي نفس المسار، فيما يسمح بان يطال التجديد كل ما له قدرة أو امكان علي إحداث قدر من التطور بحسابات معلومة وبتقدير عال . والتجديد فكرا غالبا لا يأتي من الأسفل إلي الأعلي، لان الرؤية التجديدية تحتاج إلي نظرة مغايرة لمعطيات هي أيضا مغايرة مع وعي تام بالتمييز بين الجوهر والعرض، بل ووعي تام أيضا بطبيعة العلاقة بينهما. ويحتمل بل مؤكد أن ينال التجديد معظم إن لم يكن كل ما هو عرضي، ويحتمل وليس مؤكدا أن ينال العلاقة بينهما، ولكن من غير المحتمل أو المؤكد أن ينال التجديد الجوهر وان حدث فلا يكون إلا فيما يتعلق بنظرية اللغة من حيث المعاني ودلالاتها وإشاراتها ووظائفها، فالدلالة هنا تكون عرض أولي للشيء

ذاته، لأنها تدل علي واقع والواقع متغير فالدلالة أيضا تتغير معها، فلفظة « كفر» مثلا تعني الحجب ولكن تغيرت دلالتها بعد ظهور الإسلام فاقتصرت علي إنكار الدين أو ما شابه ذلك.

ونحن معنيون في بحثنا في الفكر الاشتراكي تناول الجذر الفلسفي المؤسس له وتتبع تداعيات وامتدادات المقولة الفلسفية الاشتراكية في إطارها التاريخي والزمني. إن أمراً من هذا القبيل يشترط دراسات جادة ومتطورة ومتواكبة من إنجازات العصر، واحسب أن تلك المهمة لهي أولي المهام التي تقع علي كاهل الاشتراكين العرب، ونعني بالتحديد تطوير نظرية المعرفة الاشتراكية وإعادة أدلجة تصوراتنا المختلفة التي اكتسبناها بحكم خبرات وتطورات معرفية ومعلوماتية ناتجة عن الثورة العلمية التكنولوجية المعاصرة.وإعادة النظرة الإحيائية للاشتراكية من جديد فعندما ظهرت الاشتراكية العلمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، علي يد ماركس وانجلز، ثم تلاهما آباء الاشتراكية العظماء الذين أسهموا في تشييد بناء مترامي الأطراف فكرياً وعملياً؛ استطاعت هذه الفكرة أن تتحول في غضون نصف قرن تقريبا إلي نظام دولي مؤسسي، فهيأ للعالم بذلك فرصة تاريخية عظيمة حقق من خلالها مكتسبات اجتماعية في قوانين العمل وتوزيع الثروة والصحة والتعليم وتحقيق التوازن الدولي، إلي درجة قيل أن ظهور الاشتراكية أوائل القرن العشرين حد من تضخم ووحشية الرأسمالية أكثر من مائة عام. ثم أنها حققت أيضا إنجازات غير مسبوقة في التاريخ البشري في الاقتصاد والسياسية ودعم العالم الثالث ودفع عجلة التنمية. لقد أعطت الاشتراكية للعالم – خاصة في النصف الأول من القرن العشرين – مذاقاً خاصاً وروحاً جديدة، حيث أقيمت الحياة للمرة الأولي في التاريخ علي القيم الإنسانية العليا في المساواة والعدل والتنوير والحرية والإيمان

بقدرات الإنسان وإبداعه الذي لا حدود له، في وقت انغمست فيه أيدي الرأسمالية في مص دماء الشعوب وارتكاب أفظع الجرائم علي مر التاريخ، فضحايا الحربين العالميتين(٨٠ مليون) يفوق ضحايا كافة الأمراض والكوارث والأوبئة التي شهدها العالم عبر تاريخه الطويل. وهنا تأتي أهمية ومسئولية الاشتراكية من جديد في إحياء الفكر الإنساني الحقيقي، وإعادة الاعتبار لهذا العالم الذي فقد كثيراً من إنسانيته تحت قيادة ثلة من عصابات رأس المال المستحكمة علي الرقاب.

هذا في تقديري أفضل السبل الي تجاوز راهنيتنا المتجمدة والاستحواذ علي آفاق المستقبل القريب.ومرة أخري تحية وتقديرا لمعلمنا واحد رموز فكرنا الاشتراكي في العالم العربي الأستاذ والمفكر والمناضل العربي اللبناني كريم مروة.

أ.عبد القادر ياسين (مفكر يساري فلسطيني)

انشتلت شتلة الشيوعية، وجاءت إلى بلادنا، بسبب التخلف الذي كنا نرسف فيه، وجعل ذلك الحركة الشيوعية تبدو وكأن أبوها هناك في الثورة التي انتصرت. وكان هناك داخل الحزب أب على رأسه، يقطع رأس من يقترب منه. جعل هذا النظام الأبوي بعض الآباء والأبناء يرتبكون، وبعضهم فسد (خرب) تمامًا، بعد انفراط عقد الاتحاد السوفييتي وسقوط «المعسكر الاشتراكي».

أود أن أقوم بمراجعة نقدية سريعة لمسيرة الحزب الشيوعي اللبناني، وأتفق مع الرفيق الذي سبقني بأن نزعة الليبرالية بشعة في الكتاب. وأرى أن برنامج النهضة المقترح يندرج تحت صيغة «تخفيض الأسقف»، حتى تطبق على صدورنا، ويجهز علينا الأستاذ كريم.

لم يسلم الإسلام الحركي من الأستاذ كريم، وهو هنا يذكرنا بآخرين، لم يعد لديهم إلا ذلك الحديث. وكأن الإسلام الحركي هو العدو، وليس هناك وجود

لإسرائيل، ولا الولايات المتحدة الأمريكية. بل إن المؤلف كان حنونًا في بعض المواضع على الولايات المتحدة وإسرائيل!

كما لا يصح، أبدًا وضع سماحة السيد حسن نصر الله مع بن لادن، ومع حماس في سلة واحدة! لأن حماس غير حزب الله، وحزب الله بعيد تمامًا عن القاعدة. لا يجوز أن نشبِّه الحزب الذي أتي بانتصار عجز الجميع في المنطقة، بمن فيهم عبد الناصر، عن إحرازه، بابن لادن. ونصفهم مرة بالإرهاب ومرة بالظالمين. فهذا كلام ينفي عنا صفة الوطنية؛لأننا نستخدم في هذه الحالة كلام الأمريكان نفسه.

إن البرنامج الذي قدمه الأستاذ كريم أقل من برنامج وطني ديمقراطي، إنه يندرج تحت عنوان «الليبرالية الجديدة».

فيما يخص فلسطين، يري قضيتنا تتعثر بسبب الغطرسة الإسرائيلية، وتنكرها لحقوق الشعب الفلسطيني، وتخاذل وتواطؤ الدول الكبري والمجتمع الدولي. فيما لم يبرئ الحكومات العربية من مسئولياتها الأساسية عن الكارثة الفلسطينية. ويشير، محقًا، بعد ذلك إلى الأشكال الهشة التي تحققت من الوحدة الوطنية الفلسطينية. لكن الأنكي أنه يسمي الاصطفاف الراهن انقسامًا على الذات، وتفككًا، وصراعاً حول المواقف السياسية وأشكال النضال (ص٩٠). وليس صراعاً بين نهجين مختلفين.. ترى لو كان كريم مروَّة فلسطينياً أين تراه يقف؟! أما بالنسبة لسلاح حزب الله فقد كرر كريم مروَّة، للأسف، كلام أقصي اليمين اللبناني.

م. عماد عطية (قيادي يساري)

أعتذر عن عدم توافر فرصة قراءة الكتاب كاملاً، لكنني مطلع على كثير من كتابات الأستاذ كريم مروة خلال السنوات الماضية وآخرها كتابه «البحث عن المستقبل». مما يجعلني أقول بقلب مطمئن أني متفق إلى حد كبير مع التوجهات التي

تعبر عنها هذه الكتابات بما في ذلك الفصل الذي وصلني من هذا الكتاب وقمت بقراءته.

الإنطباع الأول لدي قراءة هذا الفصل، كان الشعور بالإشفاق الشديد على الأستاذ كريم لاضطراره إلى تدبيج أكثر من عشر صفحات في ما أسماه بالبديهيات لكي يثبت لنا – بالرجوع لكتابات مؤسسي الماركسية – أشياء من قبيل ضرورة انطلاقنا من الواقع وتقديمنا برامج واقعياً إلى آخره، مما يعكس وجود إرهاب فكري يضطر مفكر بوزن كريم مروة إلى تقديم الكثير من المبررات والحيثيات قبل أن يجرؤ على قول كلام مختلف بعض الشئ عما تعودت الناس على سماعه. وهذا شئ مؤسف جداً في واقع الأمر.

أهم ما في كتاب الأستاذ كريم ما أسماه بخطأ القفز على المراحل. فالمسألة الرئيسية إننا إذا كنا ماركسيين فعلا فيجب أن ينطلق برنامجنا من الوضع الحالي لتطور القوى المنتجة في المجتمع، ولا يمكن بناء برنامج واقعي إلا على أساس من هذا الفهم. المشكلة أنه جري اختزال الفكرة الإشتراكية والشيوعية والخطاب الماركسي والشيوعي والإشتراكي إلى مجرد خطاب يناصر الفقراء والمحرومين، وهذا غير صحيح. ربما كان صالحا قبل ماركس ولكنه لم يعد كذلك بعده؛ لأنه لم يعد صالحا الحديث عن الإشتراكية بمعزل عن التقدم المتمثل في تطوير القوى المنتجة، مما يجعل تحرير المنتجين وفكرة المساواة ممكناً. لم يعد من الممكن الفصل بين فكرتي التقدم والمساواة لأنهما في حقيقة الأمر على علاقة وثيقة بعضهما ببعض. خاض الأستاذ كريم مروة في مقدمته الطويلة ليصل إلى أن الهدف هو القضاء على الإستبداد والتخلف، وأضيف شخصياً إليهما التبعية، وأقول أني متفق تماما مع هذا الهدف الذي يعني من وجهة نظري أن نعيد النظر في أشياء كثيرة. فاللأسف

الشديد ما يزال يسود خطابنا، مع وجود استثناءات، مفردات مرحلة التحرير الوطني المنتمية إلى القرن الماضي. أعتقد أن مرحلة التحرير الوطني ليست سمة العصر حتى لو كان هناك بقايا من الحالة الإستعمارية لا يمكن إنكارها مثل الإستعمار الاستيطاني الصهيوني على أرض فلسطين. فمأساة فلسطين قضية وطنية وتندرج طبعاً تحت بند التحرر الوطني. هناك أيضاً قضايا أخرى مثل احتلال العراق وأفغانستان. لكن هذه الحالات لا تجعل من مرحلة التحرر الوطني طابع العصر، ولذلك يجب أن يحدث تحول كبير في خطابنا. وهنا أتفق تماما مع الأستاذ كريم في استنتاجه إننا يجب أن نتحدث في هذا العصر وفي مصر مثلا عن بناء جبهة ديمقراطية «تحالف ديمقراطي» وليس جبهة وطنية شبيهة بتلك الجبهات التي تميز بين بورجوازية وطنية وأخرى متعاونة (متحالفة- مرتبطة) مع الإستعمار. فهل أصبح مع عالم العولمة اليوم والتحولات الموجودة في الطبقة العاملة أي معني لتقسيم البورجوازيات بهذا الشكل؟ يضعنا هذا التساؤل أمام أسئلة كثيرة مثل هل المطلوب بناء حلف ديمقراطي أم حلف وطني؟ أن ما يحدث حالياً ليس استعماراً بالمعني التقليدي. لقد تم تجاوز مرحلة التحرر الوطني وإن لم يتم بالطبع تجاوز مرحلة الهيمنة والسيطرة الإمبريالية على العالم. لكن آليات السيطرة والهيمنة اليوم مختلفة وبالتالي تحتاج إلى استراتيجيات مختلفة لمواجهتها. فما هي هذه الإستراتيجيات؟ وإذا كانت منطقتنا بالذات لا تزال تعاني من بقايا حالة الإستعمار القديمة ممثلة في الإستعمار الاستيطاني الصهيوني على بعد أمتار من مصر.. فكيف يمكن فصل المهام الجديدة مع المشكلات الموجودة في المنطقة - التي تنتمي لعصر سابق - ومتطلباتها؟

بقيت ملحوظتان، الأولي حول موضوع المرحلية والثانية حول الاعتراض على

هذا البرنامج بوصفه ليبرالياً. يصبح الحديث عن المرحلية سليما إذا أخذناه بمعني أنه لا يمكن بناء أي برنامج إلا بناء على الواقع الحالي ومستوي تطور القوى المنتجة.. إلخ لكن إذا أخذنا موضوع المرحلية بالتعبيرات التي كنا نستخدمها في الماضي بمعني مراحل وتحالفات تسلم إلى مراحل أخرى.. فاسمحوا لي أن أتحفظ على تلك الطريقة في التفكير لأن المسألة ليست مراحل تسلم إلى مراحل بقدر ما هي مسألة تطور مستمر يشهد انتكاسات وثورات. فإذا كنت تتحدث عن الإشتراكية أو الشيوعية باعتبارها التقدم والمساواة، يصبح كل تقدم في هذا الطريق يقربنا من الهدف ويجب أن نعرف أن هذه عملية لا نهائية بمعني أنه لا توجد محطة وصول ولا مجتمع يحقق هذا الهدف، أي أن التقدم والمساواة لا يصلان أبدا إلى منتهاها. لا نحن ولا أولادنا ولا أحفادنا سيشهدون ذلك، لكن هذه العملية يجب أن تكون هدفنا والحاكم في نضالنا على أساس إننا نناضل وبشكل مستمر من أجل مزيد من التقدم والمساواة والديمقراطية. بالنسبة للإعتراض على البرنامج المقترح بوصفه ليبرالياً، طبعاً إذا لم نفصل بين قضيتي المساواة والعدالة الاجتماعية والديمقراطية يصبح من الممكن وصفه بذلك لكننا لم نقم هنا بذلك. دعونا نقول أيضاً بمنتهي الوضوح أن الغرب نفسه خان ما يسمي بالديمقراطية الليبرالية، وهي إحدي مخترعاته، منذ أن مارس الإستعمار القديم وترك الصهاينة يحتلون فلسطين ولا يزال يخونها إلى اليوم. ومع ظهور الليبرالية الجديدة هناك تراجع شديد في الديمقراطية حتى في البلاد الغربية نفسها. يجب ألا نقلق من هذه الليبرالية لأن الماركسية لم تكن أبدا ضد الأفكار الجديدة التي جاءت بها الرأسمالية ولا التي جاءت بها الليبرالية لكنها كانت تنتقد دائما مثاليتها (عدم مطابقتها للواقع) عندما تتحدث مثلا عن مساواة أمام القانون بين أناس غير متساويين في الواقع. فلو فصلنا المعني الماركسي للمساواة بقضية الديمقراطية سنسير في الطريق الصحيح.

د.عبد الغفار شكري

يطرح الأستاذ كريم مروه من واقع خبرته كمفكر ومناضل إشتراكي مركسي رؤيته للمهام الراهنة لليسار الجديد في الوطن العربي، حيث يضع على رأس هذه المهام بناء الدولة الحديثة الديمقراطية في بلداننا كمهمة لها الأولوية القصوي وتعتبر الحلقة الرئيسية في نضال القوى الإشتراكية، وهي في مفهومه الدولة الديمقراطية بالمعني الحديث والمتطور للديمقراطية، وبنص كلماته فإن « هذه الدولة لن تكون في صيغتها الدستورية، وفي وظائفها، وفي إدارتها للمجتمع، وفي الإجراءات المطلوب منه القيام بها، إلا دولة الحق والقانون، دولة المؤسسات الديمقراطية، دولة تتوفر فيها للإنسان الفرد وللإنسان الجماعة حقوقه وحرياته كاملة. وهو عندما يتحدث هنا عن الإنسان الفرد والإنسان الجماعة إنما يميز بين المفهوم الليبرالي للديمقراطية الذي يركز فقط على الحقوق والحريات السياسية الفردية كالحق في التعبير والحق في التنظيم والمفهوم الإشتراكي للديمقراطية الذي يضيف إلى هذه الحريات الفردية نوعاً آخر من الحقوق والحريات التي تتصل بالطبقات والجماعات الإجتماعية وهي في الغالب حقوق اقتصادية واجتماعية مثل الحق في العمل والحق في التعليم والحق في الصحة والحق في السكن.

ينطلق كريم مروه في طرحه لهذه المهمة من واقع التجربة التي عاشها اليسار العربي وما آلت إليه أحوال مختلف الأقطار العربية في ظل النظم الحاكمة السلطوية، ويري أن أي اجتهاد لتحديد مهام اليسار في الوقت الراهن يجب أن يرتكز على الخبرات المحصلة من هذه التجربة والنظر إليها برؤية نقدية تستخلص الدروس المستفادة منها.

كما ينطلق في نفس الوقت من التحولات التي جرت في العالم من حولنا وعلي

رأسها انهيار النظم الإشتراكية والثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة وانفراد الرأسمالية العالمية بقيادة الاقتصاد العالمي وما ترتب على هذا كله من نتائج كارثية لسنوات العالمي عامة والشعوب العربية بوجه خاص ويؤكد كريم مروه أنه في اجتهاده لتحديد مهام اليسار الراهنة يرفض الشعوبية التي ينتهجها بعض اليساريين والتي تكتفي بطرح الشعارات من دون أن تكون قد توفرت لهذه الشعارات الإمكانات الواقعية لتحقيقها، وأنه ينتهج في المقابل طريقة ماركس في الدراسة والتحليل التي تقوم على الواقعية في النظر للتغيير الديمقراطي التي تحترم اختلاف المراحل واختلاف الشروط التاريخية بين مرحلة وأخرى واختلاف المهمات ويؤكد في هذا الصدد « أن الشروط التاريخية المتغيرة هي التي ينبغي الإستناد إليها والإنطلاق منها لتحديد المهمات الملموسة للنضال من أجل تغيير الواقع القائم في بلد من البلدان في الإتجاه الأرقي من الناحية الإقتصادية، والأكثر عدلاً من الناحية الإجتماعية، والأكثر احتراماً لحقوق الإنسان ولحرياته ولخياراته، تلك الحقوق والحريات والخيارات التي ينظمها القانون في دولة الحق والقانون».

ورغم ما طرح في هذه الندوة من إنتقادات لرؤية كريم مروة ورغم أن أصحاب هذه الإنتقادات هم زملاء أعزاء لهم مكانتهم ودورهم النضالي في الحركة الإشتراكية المصرية إلا أنني أنحاز بشدة إلى رؤية كريم مروة لأن الدرس الأساسي المستفاد من تاريخ العرب الحديث والمعاصر أن كل أحلامنا الوطنية والقومية السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية قد تحطمت على صخرة الإستبداد، فقد هزمنا في كل مواجهة عسكرية مع إسرائيل نتيجة للسياسات التي اتبعتها نظم الحكم السلطوية والتي حالت دون تمكين الشعوب العربية من مراقبة أداء السلطة التنفيذية والصحيحة، كما فشلت جهود التنمية الإقتصادية للسبب نفسه وتمكنت

فئات محدودة من الإستيلاء على ثمار العمل الوطني وخيرات البلاد لانفرادها بالسلطة وحرمت الشعوب من عائد عملها وتضحياتها. كما نذكر جميعاً كيف فشلت الوحدة المصرية السورية وكيف تعثرت جهود الوحدة العربية بين أقطار أخرى بسبب حرص هذه النظم الإستبدادية على مصالحها الضيقة وتغليبها على المصالح المشتركة للشعوب العربية يضاف إلى هذا كله أن هذه النظم قد أهدرت تضحيات الشعوب العربية من أجل الإستقلال الوطني وإعادة بلادنا إلى حظيرة التبعية الأجنبية لضمان حماية وجودها تحت المظلة الأجنبية للولايات المتحدة الأمريكية. وهكذا فإن أحلامنا في التقدم الإقتصادي والعدالة الإجتماعية والإستقلال الوطني واستعادة فلسطين والوحدة العربية قد تحطمت كلها على صخرة الإستبداد، ولا يمكن للشعوب العربية أن تخرج من المأزق الراهن التي تعاني من وطأته إلا من خلال التحول الديمقراطي وبناء دولة مدنية ديمقراطية حديثة تمسك فيها الشعوب بزمام الأمور ويتمتع فيها المواطنون بحرياتهم وحقوقهم الأساسية كأفراد وجماعات اجتماعية وطبقات.

ولا تأتي موافقتي مع ما يطرحه كريم مروه حول أولوية بناء الدولة الديمقراطية كمهمة أساسية لليسار العربي من هذا المنطلق النظري فقط، بل لأنه يتفق مع تجربتي الشخصية في صياغة البرنامج السياسي العام لحزب التجمع الذي صدر سنة١٩٩٨ـ تحت إسم مجتمع المشاركة الشعبية، وقد توصلنا في هذا البرنامج إلى استنتاجات مماثلة لما يطرحه كريم مروه. هذا ما تؤكده تجربتي الشخصية كرئيس لجنة إعداد البرنامج العام التي كانت تضم في عضويتها عدداً من كبار المفكرين الإشتراكيين والمناضلين اليساريين مثل الدكتور إسماعيل صبري عبدالله والدكتور إبراهيم سعدالدين والدكتور ابراهيم العيسوي والدكتور جودة عبدالخالق

والدكتور سمير فياض والأستاذ حسين عبدالرازق وغيرهم.

حيث انطلقنا في صياغة البرنامج الجديد (صـ١٣ـ) من أننا (لا نستطيع ونحن نستكشف آفاق المستقبل ونستعد لصياغة برنامج عام جديد أن نتجاهل تلك المتغيرات العميقة في بنية المجتمع المصري وما شهده العالم من حولنا من تطورات شملت مصر والوطن العربي. بل يتعين علينا أن نتعرف على هذه التطورات التي أدت إلى تغييرات شاملة مصرية وعربية ودولية، وأن نفهم أسبابها وأهم النتائج المترتبة عليها).

وأكدنا في هذا البرنامج أن الإشتراكية هدفنا النهائي ولكنها لايمكن أن تتحقق في ظل الظروف الراهنة، وأن الوصول اليها يتطلب المرور بمرحلة انتقالية نناضل خلالها من أجل إقامة (مجتمع المشاركة الشعبية)، وأن الديمقراطية هي أفضل نظام سياسي لتطور نضالنا حالياً ومستقبلاً، وأنها قاعدة أساسية في المجتمع الإشتراكي الذي نصبو إليه ونكافح من أجل تحقيقه وضرورة صبغ المجتمع كله بالسلوك الديمقراطي وليس فقط في علاقة الحاكمين بالمحكومين. ويطرح البرنامج مسألة التنمية الوطنية المستقلة خاصة ركائز مجتمع المشاركة الشعبية لما يمكن أن يترتب عليها من (تحرير البشر من القيود التي تحرمهم من المشاركة في صنع القرارات التي تمس شئون حياتهم وشئون مجتمعهم ويمكنهم من التمتع بهذه المشاركة من خلال المؤسسات الرسمية والأهلية على السواء.

ويؤكد البرنامج أيضاً (إن ديمقراطية المشاركة التي يستهدفها حزبنا ليست نظاماً للحكم فحسب، بل هي بالإضافة إلى ذلك نظام للحياة يشمل مختلف جوانب المجتمع وشئونه، وهي تتضمن مقرطة المجتمع ومقرطة الدولة إلى جانب مقرطة الحكم).

وكما يطرح كريم مروه عدداً من القضايا والمهمات الأساسية لتكون في صلب برنامج التغيير الذي يتبناه اليسار، فإن البرنامج العام الجديد لحزب التجمع الصادر سنة ١٩٩٨ يطرح المقومات الأساسية كاديمقراطية المشاركة على نحو قريب جداً من القضايا العشرون التي يطرحها كريم مروة منها :

- إحترام التعددية الإقتصادية والسياسية والثقافية في المجتمع
- قيام مجتمع مدني قوي.
- تأمين حد أدني من الحقوق الإقتصادية والإجتماعية يكون أساس التكافؤ في القدرة السياسية.
- إقرار الحقوق والحريات السياسية والمدنية.
- ثقافة ديمقراطية تقوم على قيم الإعتراف بالآخر والحوار الموضوعي والتسامح.
- تأكيد الوحدة الوطنية كقيمة مجتمعية تكفل حقوق المواطنة المتكافئة لجميع المواطنين، بغض النظر عن إنتمائهم الديني.
- إعلام ديمقراطي حر.
- حكم محلي شعبي حقيقي.
- التوسع في أشكال المشاركة الشعبية المباشرة.

كما يطرح البرنامج العام قضايا البيئة والمرأة والشباب والتكامل العربي وحقوق شعب فلسطين التاريخية.

من الطبيعي أن تكون هناك اختلافات في صياغة القضايا بين طرح كريم مروه والبرنامج السياسي العام الجديد لحزب التجمع ولكن المهم هنا هو التوجه العام

الذي يؤكد على أولوية الديمقراطية وبناء الدولة الديمقراطية.

بل إن الإتفاق بين طرح كريم مروه وبين البرنامج الجديد لحزب التجمع في مصر تحيد إلى مفهوم اليسار في الوقت الراهن. حيث يتوسع كريم مروه في مفهوم اليسار، وهو توسع يستند إلى التوسع في القاعدة السياسية والإجتماعية للقوي التي تنتمي إلى اليسار، أو التي تعتبر اليسار ممثلاً لمصالحها. وبعد أن يستعرض كريم مروة الأسباب الداعية إلى هذا التوسع في المفهوم يؤكد أن اليساري في الوقت الراهن يمكن أن يكون متأثراً بأفكار الإشتراكية منذ ماركس حتى اليوم، ويمكن أن يكون عضواً في حزب اشتراكي أو شيوعي أو في حزب قومي متأثر بالإشتراكية، ويمكن أن يكون ديمقراطياً بالمعني الواسع للمفهوم. أنه كل من ينتمي إلى هذا الجمهور الواسع الذي يريد لبلده الحرية والتقدم اللذين لا يمكن تحقيقها إلا بالنضال لأحداث تغيير جوهري في الواقع القائم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وفنياً.

وفي نفس الإتجاه يؤكد حزب التجمع أن مجتمع المشاركة الشعبية يتطلب قيامه تشكيل تحالف اجتماعي جديد تجمعه المصلحة المشتركة في إقامة النظام الديمقراطي يضم الطبقة العاملة والفلاحين والفئات الوسطي والرأسمالية المصرية المنتجة التي تتعارض مصالحها مع الرأسمالية العالمية وتتعارض مع اتساع المجال أمام الرأسمالية الأجنبية في مصر.

ويلتقي طرح كريم مروة مع طرح برنامج التجمع في رفض العنف وانتهاج الأساليب الديمقراطية السليمة.

هذا التوافق في التوجه العام بين رؤية كريم مروة ورؤية عدد من أهم مفكري اليسار في مصر يؤكد أهمية تجديد الفكر الإشتراكي في مختلف الأقطار العربية،

والإجتهاد في فهم المتغيرات والظروف الجديدة، والتحلي بالشجاعة في طرح ما يرونه ضرورياً لإخراج اليسار العربي من مأزقه الراهن، والتحلي برحابة الصدر إزاء ما يوجه من إنتقادات إلى هذا الطرح، فمن خلال مثل هذا النقاش النزيه المفتوح يمكن أن يتوصل اليسار العربي إلى رؤية متكاملة تنير له الطريق إلى مستقبل أفضل.

د. إيمان يحيي (المفكر اليساري وأستاذ بجامعة قناة السويس):

يأتي كتاب الأستاذ كريم مروة استمراراً لمسيرة طويلة من التجديد والمسار الخاص لمجموعة من اليسار السوري و اللبناني بدءاً من فرج الله الحلو حتى نقولا الشاوي وجورج حاوي. كان الخروج من إيثار المقولات و القوالب النمطية في التفكير والتمرد على التبعية للتفكير السوفييتي أهم ما امتازت به تلك المجموعة، التي أخذت موقفاً مميزاً عن بقية اليسار العربي تجاه الصراع العربي_الصهيوني و تجاه المقاومة الفلسطينية و الكفاح المسلح «العمل الفدائي». وكان الحزب الشيوعي اللبناني والحزب الشيوعي السوري (المكتب السياسي- جناح رياض الترك) قريبين جداً من الفكر القومي. يختزل كثيرون مشكلتنا اليوم في عالمنا العربي في مشكلة السلطة/ الأنظمة الحاكمة. هذا في رأيي جانب فقط من المشكلة لكن الأزمة التي نعيشها اليوم هي أزمة مجتمعية شاملة. هناك خلل في التفكير ليس قاصراً على اليسار وإنما يشمل أيضاً كافة الإتجاهات السياسية، و لعل ذلك يعود إلى الثقافة التي ننتمي إليها. الاستبداد الذي تئن من وطئته الشعوب العربية ليس استبداداً سياسياً فقط، بل هو استبداد اجتماعي و ثقافي و ديني، بالأحري هو استبداد يشمل كافة مناحي الحياة. و لعل ذلك يعود بنا إلى مهمة اليسار، فلا يمكن أن يقوم مشروع يساري ناجح وهو يعادي حقوق الإنسان. أصبحت تلك مسألة أساسية اليوم لأنها نتاج لتطور الإنسانية ولذلك علينا أن نتساءل لماذا يسير العالم كله في اتجاه ونحن

نسير في الإتجاه المضاد؟ لا يمكن أن يكون هناك تجديد في الثقافة إذا كنا نسير في الطريق المعاكس لتطور الإنسانية، أيضاً لا يمكن أن يكون هناك تجديد و اجتهاد في الدين إذا خاصم ذلك التجديد مسيرة التطور الإنساني و قيم الإنسانية. أرى شخصياً الأولويات في الفصل الذي قرأته من كتاب الأستاذ كريم مروة بديهيات يعرفها و توصل إليها كل الناس حتى في مصركما يظهر من الخطابات السياسية في الشارع و مما يظهرمن ممارسات أعضاء حركات التغيير اليومية، واليسار بالمناسبة يتبعها أيضا. لكنني أختلف مع كريم مروة في ترتيبه للأولويات ووضعه قضية الدولة رقم ١ بالنسبة لها وتأخيره القضاء على الاستبداد والديمقراطية إلى رقم ١٣ أو ١٥. أتساءل بالنسبة لفكرة عدم الفصل بين السلطات وجمع الدولة لها في يد واحدة.. هل سنقوم بإعادة اختراع العجلة؟ ألا تكفي التجارب التي فشلت، و منها تجربة الإتحاد السوفييتي التي استمرت ٧٥ سنة ثم سقطت في النهاية على وجهها. توصلت البشرية حتى الآن إلى أن النظام النيابي هو أفضل نظام ديمقراطي.. لا نعرف إلى ماذا سنتوصل فيما بعد؟ لكن الديمقراطية المباشرة أثبتت عدم صلاحيتها. وتوصلت البشرية إلى أن الفصل بين السلطات أكثر طريقة يمكن أن تقلل إلى حد ما من الإستبداد. لذلك أعاتب بشدة الأستاذ كريم في موضوع استحضار النصوص التي جاء بها في فصل كامل منفصل.

أبعد أن تحررت من النصوص تعود إليها مرة أخرى لتلتمس فيها سنداً شرعياً لحديثك متمثلا في ماركس؟ ماذا تختلف في ذلك عن أعضاء الحركات الدينية السلفية؟ الماركسية منهج وليست نصوصاً. هناك أيضاً نقطة هامة لم يركز عليها «كريم مروة» كثيراً وهي الثقافة والدين. وكان هناك كثيرون- كنت واحداً منهم وكان منهم أيضاً حسين مروة - عم الأستاذ كريم- رحمة الله عليه، ينادون باشتباك

اليسار مع الثقافة السائدة والثقافة الدينية التي تمثل جزءًا كبيراً جداً منها. وللأسف لا يقوم بعض اليساريين بذلك رغم أن تلك مهمة أساسية لليسار، ألا وهي تنظيف عقول الناس من الخرافات و الأفكار الرجعية و في نفس الوقت استجلاء النقاط الإيجابية في تراثنا الثقافي و الديني و تطويرها.

أشكر الأستاذ كريم مروة وأتفق معه في ٩٠٪ مما ذكره في كتابه وأرى أنه عند مناقشة موضوع فكري معين أن نركز بالأساس على الأفكار مع عدم الفصل التعسفي بين الفكري والسياسي و أخذه في الإعتبار، فمن الممكن أن يتحدث الأستاذ كريم في ندوة أخرى عن الوضع في لبنان

ملاحظة أخيرة كثرت الكتابات في الفترة الأخيرة عن نهوض اليسار العربي و لعلها تعبيراً عن فكرة طيبة حول ضرورة تطوير اليسار العربي، لكنني أخشي أن يكون الحديث عن «اليسار العربي» في تعبيره الضبابي و الأعم محاولة يتهرب بها كثير من الكتاب في المشرق العربي عن مناقشة الواقع اللبناني أو السوري؛ لأنه يبدو أن هناك يد غليظة تمنعهم عن ذلك.

م.أحمد بهاء الدين شعبان (مفكر يساري وأحد قيادات حركة كفاية):

أحييي الأستاذ كريم مروة على كتابه القيم والهام الذي أعتقد أنه يأتي في وقته الحقيقي إسهاما من مفكر ومناضل في قضية أساسية نشعر جميعاً بأهميتها وهي نقد اليسار في منطقتنا والبحث عن أسباب إخفاقاته وطرق الخروج من المشكلات التي يعانيها. قبل التطرق إلى ما جاء في الكتاب، أتحفظ على الفكرة الأساسية التي طرحها الأستاذ كريم مروة القائلة : بأن الإشتراكية فشلت. فهناك لا شك فشل لتجربة الاتحاد السوفييتي والمنظومة الإشتراكية لكن ذلك لا يعني فشل الاشتراكية بشكل مطلق. فحتى الرأسمالية المستمرة منذ عدة قرون تعيش أزمة ومشاكل

حقيقية عميقة، بينما تنهض الإشتراكية في مناطق عديدة من العالم وعلى رأسها أمريكا اللاتينية، وهو ما لم نجد له أي إشارة على الإطلاق في كتاب الأستاذ كريم. فهل فشلت الإشتراكية؟!. أن إحدي موجاتها تعثرت واختفت تجربة من تجارب التطبيق الإشتراكي؟.. لكن هذا ليس نهاية المطاف هناك دائما إمكانية للتطور والنهوض من جديد وعمليات التحول الإجتماعي بطبيعتها عمليات طويلة المدي. أتصور أن البرنامج المقدم من الأستاذ كريم أقرب إلى الليبرالية منه إلى اليسار الإشتراكي. أعتقد أن الفارق الأساسي بين اليسار الديمقراطي والليبرالي ينهض على انحياز اليساري الديمقراطي لقضية التحول الاجتماعي. وإذا نزعنا الديمقراطية الاجتماعية من البرنامج الديمقراطي سنكون بصدد برنامج ليبرالي. القضايا المطروحة في برنامج الأستاذ كريم يرددها في الحقيقة بالضبط رجال الفكر الجديد بالحزب الوطني الديمقراطي وجمال مبارك ود. أسامة الغزالي حرب في حزب الجبهة الديمقراطية وغيرهم من المفكرين الليبراليين. أنا كيساري أناضل وأدافع عن الديمقراطية لأنها وسيلتي لتحقيق الديمقراطية الإجتماعية، إذا لم يكن هذا البُعد واضحا يحدث ارتباك وخلط كبير في القضايا. أريد أن ألفت النظر إلى نقطة ثانية هي قضية الدولة التي دار حولها جدل مع د. سامر سليمان، فلازلت أعتقد أن التفسير الماركسي الوظيفي للدولة باعتبارها أداة هيمنة طبقية صالحا ١٠٠٪، وإلا فاذكروا لي دولة في العالم كله فوق الطبقات ولا تدافع عن مصالح طبقية نحن نعيش ذلك بشكل واضح والدولة في منطقتنا طبقية ١٠٠٪. هناك نص للأستاذ كريم مروة يقول فيه : أن الدولة مؤسسة دستورية ذات استقلالية نسبية عن الطبقات الاجتماعية والقوى السياسية ليس هناك في حقيقة الأمر دولة بهذا الشكل.

الأستاذ كريم مروة (مقاطعا): هذا كلام ماركس وليس كلامي.

م.أحمد بهاء الدين شعبان (مستكملا):

حتى لو كلام ماركس.. لا زلت أعتقد على أية حال أن الدولة أداة هيمنة طبقية ولم تكن أبدا لها استقلالية إلا نسبية وفي مراحل تاريخية معينة. لا يحدث أن تكون الدولة على قدر من التوازن في السلطات تجاه الطبقات الاجتماعية إلا حينما تكون الطبقات الكادحة والشعبية قوية إلى الدرجة التي تمكنها من هز التحالف بين الدولة والطبقات المالكة. وتظل الدولة فيما عدا هذه اللحظات التاريخية النادرة أداة للقمع الطبقي كما عرفنا. يتضح أيضاً في البرنامج تواضع الموقف من قضيتي الإستعمار والصهيونية. أعتقد أن قيمة اليسار في السنوات الأخيرة تتمثل في أنه كان في طليعة المناهضين للإستعمار والصهيونية، ليس بالتصور القومي (التقليدى) ولكن أخذا في الإعتبار أننا نمر بمرحلة تاريخية واضحة جداً ترتبط فيها الرأسمالية الأمريكية (المستغلة لنا) بقواها الباطشة (الإمبريالية الأمريكية) التي تعادينا الآن وتتصدي لأهدافنا القومية والوطنية. لا أرى بالتالي كيساري أي تناقض في مواجهتي لمشروع الهيمنة الأمريكية باعتباره مشروع رأسمالي يشتغل العمل على المستوى العالمى ومشروع إمبريالى للسيطرة على مقدراتنا ويسعى للهيمنة على العالم. وفي رأيي أن الإشارة إلى تحمل الأنظمة العربية لمسئولية الكارثة الفلسطينية يعفي ضمنياً الإستعمار والصهيونية من مسألة اغتصاب فلسطين. فتبدو المسألة كما لو أن أخطاء الأنظمة العربية هي التي أضاعت فلسطين. وهذا غير صحيح. نعم الأنظمة العربية ١٠٠٪ مدانة ومخطئة، لكن أيضاً هناك تخطيط استراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية والإستعمار الغربي والصهيونية لاحتلال المنطقة بسبب وجود البترول، وأشياء كثيرة أخرى.

يكاد الحيز الاجتماعي أيضاً أن يكون غائباً في هذا البرنامج. فلم تأت فيه أي

سيرة تشى بالانحياز الموضوعى للطبقات الشعبية مع أنه من المفترض أنه برنامج لليسار، إلا في الحديث عن الفقر والذي تم تناوله باعتباره بُعدًا أخلاقيًا. أي أنه هناك بعض الفقراء مطلوب حل مشكلاتهم، دون أن يشكلوا طبقة اجتماعية لها حق مشروع في نصيبها العادل من الثروة الوطنية. أعتقد أن ذلك يضعف جداً هذا البرنامج كبرنامج لليسار العربي. يدين الأستاذ كريم في كتابه أيضاً العنف الثوري إدانة كاملة- فهل كل أشكال العنف الثوري كانت كارثية وضارة ومدمرة للعمل الوطني والثوري كما يرمى فى كتابه؟!. أعتقد أنه من الصعب إطلاق حكم بهذا الشكل. هناك بعض التجارب وليست كلها لجأت إلى العنف الثوري وأدت إلى نتائج كارثية. ما الذي يمكن أن ندينه مثلا في عنف الثورة الفيتنامية في مواجهة العدوان الأمريكي والعملاء الفيتناميين؟ وهل كانت هناك إمكانية لتحرير فيتنام بغير مواجهة العنف العدواني الإمبريالي بالعنف الثوري؟ أعتقد أن إدانة العنف الثوري بشكل مطلق فيه إفتئات على حقائق التاريخ. هناك ممارسات للعنف يمكن إدانتها، بل ويجب إدانتها؛ لأنها خَّربت العمل الوطني وهناك دعاوي للعنف والعنصرية والعصبية تُخَّربُ وتدمر العمل الوطني. لكن لا يجب إدانة العنف الثوري بشكل مطلق.. فهل نعتبر حمل الشعب الفلسطيني اليوم للسلاح في مواجهة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني كارثة أو تدمير أو تخريب؟

من الممكن القول بأن بعض ممارسات الجماعات الفلسطينية وحماس أدت إلى الإساءة للنضال الوطني الفلسطيني وخربت كثيراً فيه. لكن الثورة الفلسطينية ثورة حق ومن الواجب علينا أن نقر بأن العنف الثوري يصبح أحيانا- حينما تتعذر السبل الأخرى- الوسيلة الوحيدة لفك الاحتباس في المعارك الوطنية.

يمكن قبول هذا البرنامج باعتباره برنامج فك اشتباك مع اليسار الماركسي،

وبرنامج لليسار الليبرالي الديمقراطي بشكل عام.. لكن هل أستطيع كيساري مصري النضال من أجل الديمقراطية متجاهلا البعد الإجتماعي في بلد يرزح أكثر من ٤٠٪ من سكانه في فقر مدقع، ومثلهم يعيشون فقراء، والعمال والفلاحين يفترشون الشوارع للمطالبة بأجور توفر لهم الحد الأدني من متطلبات الحياة؟! ماذا سيحدث لو قمت بذلك؟ سيدير الناس ظهورهم لي باعتباري شخص قادم من المريخ في أفضل الأحوال!! هذا هو في رأيي السبب في استمرار الإنفصال حتى هذه اللحظة بين إضرابات العمال والمثقفين (الأفندية) مثلنا، وبقاء نظرتهم إلينا على إننا ناس مترفين نتحدث عن قضايا بعيدة عن لقمة عيشهم.

وأخيراً هل ما قلته لا يعني أن اليسار في أزمة؟ نعم اليسار في أزمة، ولكن المخرج المطروح من الأستاذ كريم يعمق من أزمة اليسار ولا يحلها، ولا حتى يساعد على الخروج منها.

فالمخرج ليس فى أن نتخلى عن، أو نخفف من، انحيازاتنا اليسارية، إنما فى أن نكون أكثر يسارية، بمعنى أكثر قربًا من الناس وهمومها وأحلامها وتطلعاتها، وأكثر قدرة على التعبير عن إرادتها، وأعتقد أن أفكار طرحها الزملاء أثناء النقاش قد تساعدنا على الخروج من هذا المأزق، منها فكرة التعددية الحزبية. ربما يساعد ذلك على أن تنشط كل مجموعة في قطاع وتخلق بذلك إبداعًا جديدًا لرؤية اليسار أو فصيل أو مجموعة منه للنضال، هل لا تزال مثلا فكرة البناء الحزبي الهرمي المنضبط إنضباطا عسكرياً صالحة؟! ربما لو قدمنا تجارب جديدة للتنظيم اليسارى مستفيدين مثلا مما حدث في أمريكا اللاتينية وإبداعاتهم في هذا السياق، ومستفيدين من أخطاء تجربتنا الخاصة ونتائجها السلبية طوال السنوات الأخيرة، قد يساعدنا على الخطو للأمام. أشار الأستاذ كريم إلى نقطة هامة، أوافقه فى أنها محور أي جهد يساري

جديد، تتمثل في الاهتمام بالشباب وتجديد دم اليسار المصري والعربي الذي يعاني التآكل. كنت أتصور أن ثورة الاتصالات والمعلومات ستحتل جانباً كبيراً من الكتاب، ففي مصر نشهد الآن ممارسات جديدة لمئات الآلاف من الشباب المنتمين موضوعياً إلى اليسار عن طريق النت والفيسبوك والتي قلبت الدنيا. كما لم أرى أي مناقشة لظاهرة «الحركات الاجتماعية الجديدة» رغم أنها أصبحت المتصدية تقريباً للحراك الاجتماعي في مجتمعاتنا.. فهل يمكن أن نرتبط بهذه الحركات كيسار، وأن نوحدها ونقودها ونوجهها، لنرقّي من أساليب عملها حتى تنتصر، وينتصر اليسار، في النهاية..؟

د. صلاح السروي

يقول مؤلف الكتاب : أن فكرته الأساسية تدور حول ضرورات التعلم من أخطاء التجارب السابقة وبالتالي عرض في عجالة في مقدمته لتاريخ الثورات القديمة التي بدأت ثورة سبارتكوس مروراً بالثورات التي شهدها العالم الإسلامي مثل ثورة الزنج والقرامطة وصولا إلى كوميونة باريس وثورة أكتوبر الإشتراكية واستخلص المؤلف من ذلك أن كل هذه الثورات فشلت وأن ثورة أكتوبر بالتبعية لم تتعلم من أخطاء الآخرين وفشلت أيضا.

وقد جاء دورنا لنتعلم من أخطاء السابقين حتى لا نفشل. تصورات حقيقة في هذا السياق إننا بصدد ثورة جديدة وبالتالي علينا أن نجرد حساب الثورات السابقة لكي لا نقع في نفس أخطاءها وننتهي إلى ما انتهت إليه، فإذا أجد إننا أمام رفض لوجود الثورة نفسها. من يتابع بعض المثقفين اليساريين وبعض الحركات الشيوعية في العالم على مختلف ألوانها وأشكالها سيجد حالة من الإحباط الشديد من إنهيار الاتحاد السوفييتي، الأمر الذي أدي ببعض الأحزاب الشيوعية إلى تغيير أسمائها

وخلع تسمية الشيوعية منها، وحتى الأحزاب التي كان بإسمها كلمة العمل أبدلتها بالإشتراكي فقط مثل حزب العمال الإشتراكي المجري الذي أصبح الحزب الإشتراكي المجري مما يشير إلى تخلي واضح عما تدل عليه كلمة العمال من التزام ما بالدور القائد والأساسي لهذه الطبقة في عملية التغيير وأيضاً تخلي عن الماركسية. أخشي إننا وصلنا إلى مرحلة التخلي عن المنطلقات الأساسية لفكرة وجود اليسار في حد ذاته. اليسار موجود أساسا لبناء حضارة إنسانية جديدة وافق إنساني جديد ينتفي فيه الإستغلال والقمع والقهر وتتفجر فيه الطاقات والملكات البشرية الحقيقية التي يجري طمسها وتشويهها وتحويلها إلى طاقات تدميرية في ظل المجتمع الطبقي القاهر. إذا تناسينا هذه المهمة الثورية بالمعني الكامل والمباشر للكلمة، علينا أن نبحث لأنفسنا عن تسمية أخرى. فنحن قمنا من أجل حالة طبقية اجتماعية محددة ومنحازون طبقياً للطبقات المنتجة المقهورة. طبعاً البعد الأخلاقي واليوتوبي قائم بلا شك. ولكننا لا نحلل على أساسه وإنما على أساس البعد العلمي والمعرفي، على أساس ما يطرحه الواقع من وقائع حقيقية. ولذلك أنا متفق مع الأستاذ كريم مروة تماما في فكرته عن عدم القفز على الواقع والتعامل بشكل مرحلي مع المتغيرات. وهذا ليس بالكلام الجديد. لكن إذا تناسينا القضية الأساسية الإستراتيجية التي قام من أجلها فكر اليسار بجوهره وأساسه سنواجه في الحقيقة مشكلة كبيرة، ركزت صفحات الكتاب كثيراً على كلمة «النهضة» على أساس أن علينا الآن الإسهام في تحقيق نوع من النهضة على مستوي التحرير السياسي والحركات التضامنية والإجتماعية والشبابية.. إلخ. بالرغم من أن ذلك يتوافق مع فكرة اليسار لكنه لا يمثل جوهر عملية الفكر اليساري وليس المقولة الأساسية لحركة اليسار طبعاً اليساريون هم من عملوا على تنقية التراث وبشروا بمجانية التعليم وحرية التفكير والتعبير ووحدهم يقفون تقريباً الآن بجوار قضايا المرأة

وحرية التفكير ضد المصادرة وقمع الأفكار. فاليسار على مدار تاريخه كان تنويراً.. لكن التنوير بأي اتجاه؟! فهل يمكن مثلا قبول تطويع فكرة قبول الآخر على مستوي بعض المقولات التي ظهرت حديثا لتعني ذلك الآخر الذي يري التطبيع مع الكيان الصهيوني أمراً ممكناً؟! هنا نخلط الأوراق والموضوعات بعضها بعضاً ونزيف المفاهيم والمعاني الحقيقية لفكرة الاختلاف. أنا مؤمن طبعاً بحق الإختلاف لكن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال إيماني بحق الآخر في قتلي ومحوي وسحقي. أنا مؤمن بحق الأمريكيين في الوجود لكني لست مؤمنا بلا شك بحقهم في احتلال العالم. أن مبارحة المنطلقات والمفاهيم النظرية الأساسية والمواقف الجذرية الرئيسية والمواقع والخنادق التي انطلق منها اليسار تعني إننا بإزاء عملية خلط أوراق. أضع أي شخص يري نفسه إصلاحياً وليبرالياً على عيني ورأسي لكني أعجب كثيراً لأن يطرح ذات الشخص نفسه كيساري دون أن تشغله القضية الإجتماعية وقضية بناء أفق إنساني جديد متحرر من التبعية والإمبريالية والقمع والقهر. فهناك موجة في السنوات العشر الماضية لنقد الماركسية إجمالا وقد أشار الزميل عبد الحسين شعبان إلى الجهد القائم بهدف تحطيم المرايا ليس بالمعني التخييلي أي لأنها تخايل الذات وبالتالي يعني تحطيمها تحطيم الخيالات والأطياف والأوهام، إنما يتم ذلك بدعوي المراجعة. لا أميل إلى التجريم والتخوين لكن إذا لم نربط هذه المحاولات بعضها ببعض ولم تقدم لها قراءة سياقية متكاملة سنصل إلى شئ ما لا أتمناه في الحقيقة، نعم اليسار حقاً في أزمة ولابد أن نعترف لكن لابد أيضاً من تشخيص العوامل الموضوعية الحقيقية التي أفضت إلى ذلك. يمر اليسار المصري والعربي بأزمة وليس كل اليسار في العالم، فيسار أمريكا اللاتينية ليس في أزمة. وحتى اليساريين في أوروبا ليسوا في أزمة بهذا القدر الذي نحن فيه. تتعلق أزمتنا في رأيي بالثقافة وتكتيكات اليسار التي أخذت من لحظة التكوين والنشأة منحي

نخبويا، ربما يعود ذلك إلى العناصر الأجنبية التي شهدت ولادته، الأمر الذي جعله ليس شعبياً بالمعني الحقيقي للكلمة. إلا أن ذلك لا يعني بأية حال أنه لم يكن مؤثرا. فاليسار وقف وراء كثير جداً من المفاهيم والأفكار الثورية التي حكمت مصر أيام عبد الناصر مثل الإشتراكية وحقوق العمال والفلاحين. ولولا ما حفره اليساريون بدمائهم وجلودهم المتقطعة تحت السياط في السجون ما كان لأحد أو كل من هب ودب أن يتشدق ويتفاخر بهذه المفاهيم التي جري حفرها في مجري الثقافة المصرية بفضل تضحيات الشيوعيين المصريين. إذن اليسار المصري أثر تأثيراً قوياً في مجري الحياة وإن لم يكن التأثير المرتجي الذي يمكن من خلاله أن يمثل أحد الأطراف الرئيسية في حركة السياسة المصرية لكن لا يعني ذلك أن التاريخ صودر على هذا النحو وإن علينا أن نلحق بأذيال عربة الليبرالية الكهنة حتى يكون لنا مكان.

د.شريف حتاتة (روائي ومفكر يساري)

من يتحدث في نهاية الجلسة يتمتع بميزة وفي الوقت نفسه يُواجه صعوبة. الميزة هي إمكانية الاستفادة مما قاله الذين سبقوه في الكلام. الصعوبة هي أن الحاضرين في نهاية الجلسة يُعانون من الإرهاق بعد الإستماع إلى عدد من المتحدثين. أياً كان الأمر فالمهم أنني سعيد بوجودي هنا اليوم، وهذا لعدة أسباب، في مقدمتها طبعاً وجود الأستاذ «كريم مُروة» بيننا، وهذا اللقاء الأول بيني وبينه. السبب الآخر هو الأشياء التي تربطني بالأصدقاء اللبنانيين، فقد كانوا ملجأ للكتاب أمثالي عندما عجزوا عن النشر في مصر. بالإضافة إلى هذا زرت «لبنان» وأنا صغير واستمتعت بجمالها، بالجبال، بالزهور والنباتات والأشجار، فقد كان معنا أستاذ في علم النباتات نظم لنا عدة رحلات فيها. ثم أنا مغرم بالمأكولات والشراب اللبناني.

هناك إذن أسباب مختلفة تجعلني متحيزاً للأستاذ «كريم مُروة».

قرأت الكتاب الذي نناقشه اليوم مرتين. قرأت الجزء الأول كاملاً لكني أسقطت من القراءة النصوص التي أوردها في آخره، وبهذه المناسبة أُريد أن أحذركم من تطور حدث لي. لم أعد كما كنت متفرغاً للسياسة أساساً، وإنما أصبحت أكتب الرواية وأتابع التطورات السياسية إلى حد ما، لكن ليس على نحو منتظم. لذلك أصبحت ميالاً لقول أشياء قد تُثير عندكم قدراً من الإستغراب، مع ذلك لا أُريد أن أكتمها لشعوري بأنها ربما تُضيف أبعاداً للحوار.

عندما قرأت الكتاب تملكني الإنطباع بأنه ليس كتاباً عن اليسار في البلاد العربية، وإنما أساساً عن اليسار في «لبنان». إن المؤلف عندما قام بكتابته كان متأثراً بالأوضاع في «لبنان». أكد انطباعي هذا اهتمامه الكبير بموضوع توطيد أركان الدولة، وبناء قدرتها المستقلة، عن الطوائف والأحزاب، وأساساً عن «حزب الله»، وهذه مسألة لا غبار عليها لأن من المفروض أن تنبع النظريات من الواقع، وليس أن نطبق المقولة التي كانت شائعة في وقت من الأوقات بين صفوف اليساريين بـ«ضرورة تطبيق النظرية على الواقع». يُضاف إلى ذلك أن الكتاب تغلب على اتجاهاته النظرة الليبرالية في بعض المسائل الهامة على حساب التحليل ذي الطابع اليساري، وقد دفع هذا المهندس «أحمد بهاء الدين شعبان» إلى الإعتراض عما جاء فيه في كثير من الأجزاء، وقوله بأن الكتاب لا ينطبق على الأوضاع في «مصر» حيث يلعب الصراع بين الطبقات دوراً أهم بكثير عن الصراع بين الطوائف والفئات. مما يطرح تساؤل. هل كتاب الأستاذ «كريم مُروة» هو كتاب عن نهوض اليسار العربي أم أساساً كتاب عن نهوض اليسار في «لبنان».

فيما يتعلق بالنصوص التي وردت في الجزء الأخير من الكتاب الملاحظ أنها جميعاً

نصوص قديمة مرت عليها سنوات، مما يُفقدها جزءاً من قيمتها، فقد تغيرت الأوضاع في عالمنا كثيراً فلماذا لم يلجأ إلى الكتابات اليسارية التي صدرت حديثاً في عدد من بلدان أمريكا اللاتينية، وأوروبا، وآسيا التي يمكن أن تكون أكثر نفعاً في هذا المجال؟ لو فعل لكان قد قام بعمل أكثر فائدة لنا فنحن معزولين إلى حد كبير عن مثل هذه التجارب لأسباب تتعلق باللغة، ولأسباب أخرى غير ذلك.

أريد أن أدخل الآن في صلب الكتاب، وأن أبدأ بمناقشته من الزاوية التي طرحها مؤلفه، وهي أهمية أن نقوم بدراسة تاريخ الثورات لنتبين الأسباب التي أدت إلى فشلها. هل كانت أسباباً موضوعية، أم أسباباً ذاتية، أم مزيج من الإثنين؟ وهنا طرأ على ذهني سؤال خاص بالثورة السوفييتية قد يبدو غريباً، ربما يُشبه إلى حد ما الأسئلة التي أطرحها على نفسي كروائي فعندما أفكر في حبكة الرواية التي أكتبها. لو فُرض أن «ستالين» هو الذي مات في بداية الثورة بدلاً من «لينين»، هل كان سيُؤدي ذلك إلى مسار مختلف للثورة في «روسيا»؟ في محاولة للإجابة على هذا السؤال تذكرت ما قاله «ماركس» عن أن الثورة الإشتراكية ستقوم أولاً في البلاد المتقدمة صناعياً،ذلك أن الثورة كما أشار صديقي «عماد عطية» هي صيرورة متواصلة من مرحلة إلى مرحلة، والمرحلة الرأسمالية الصناعية هي التي تصنع الأوضاع الإقتصادية، والإجتماعية، والثقافية التي تجعل الإنتقال إلى الإشتراكية ممكناً. إنها تُمهد لها بخلق الظروف المادية، والفكرية، والعلمية التي تجعل هذا التحول ميسراً. تُوفر الكوادر، والإمكانيات الضرورية للقيام بنقلة جوهرية في المجتمع. لكن الثورة السوفييتية لم تتوفر لها هذه الظروف فقد قامت في بلد شبه إقطاعي، شديد التخلف، كما أن عضوية الحزب البلشفي لم تكن تتعدي العشرة آلاف في بلد زراعي زاد عدد سكانها عن مائة مليون. لم يصل الحزب إلى الحكم

بسبب نشاط أعضائه الجماهيري لسنين طويلة في المدن، والريف، وإقامتهم شبكة واسعة من العلاقات، وخوضهن صراعات يومية متواصلة مع مختلف فئات الشعب وطبقاته ضد القيصرية، أي عن طريق إقامة قاعدة جماهيرية ممتدة في البلاد. لقد وصل إلى السلطة عن طريق تدبير ما يُشبه الإنقلاب. استولي عليها ثم شرع في إقامة النظام الإشتراكي استناداً إلى هذه السلطة. من هنا نبعت الإتجاهات الفكرية التي سادت في الحركة الشيوعية لسنين طويلة، وهي اتجاهات كانت تعتبر أن مهمتها الرئيسية هي الاستيلاء على السلطة ثم القيام ببناء الإشتراكية اعتماداً على جهاز الدولة. التأييد الذي لاقته هذه الحركة شبه الإنقلابية في «روسيا» كان سببه قرار صاغه «لينين» أنهي به الحرب الدائرة إذ ذاك وأعلن فيه توزيع الأرض على الفلاحين مما جعل الملايين يُعلنون تأيدهم للثورة. الملايين من سكان المدن، وأساساً الريف كانوا فلولاً غير منظمة، معدمين وجهلة، ومرضي سئموا الحرب، سئموا الكوارث والموت، والجوع والحرمان، سئموا الفقر الذي عانوا منه طويلاً فاشتعلت آمالهم عندما استولي البلشفيك على الحكم.

إن هذه الأحداث تُذكرني إلى حد ما، قياس مع الفارق بالطبع، باستيلاء الضباط الأحرار على الحكم في «مصر»، ثم إعلانهم التدريجي لخطوات ثورية دون أن يكونوا معتمدين على حزب جماهيري، أو على حركة شعبية منظمة واسعة النطاق. لذلك عانت الثورتان فيما بعد من مشاكل كثيرة، ومنها عدم وجود كوادر يُمكن الإعتماد عليها في تحديد الخطوات الثورية وتنفيذها. لكن الآن أصبح واضحاً أن مهمة اليسار تبدأ قبل الاستيلاء على السلطة، أي تبدأ بزراعة بذور الديمقراطية والإشتراكية داخل المجتمع وتنميتها. إنها مهمة تتم خطوة تلو الخطوة بالتعاون مع كل القوى الديمقراطية في المجتمع لتغيير المؤسسات، ومحاضرة الإستغلال، وبناء

قاعدة إنتاجية للمجتمع، وتغيير العلاقات الإقتصادية والإجتماعية، وتكوين الكوادر، وتغيير الثقافة والأفكار، ثم الوصول إلى السلطة لا عن طريق الإنقلاب، وإنما اعتماداً على حركة ديمقراطية واسعة سلمية. هناك عملية تمهيد وتغيير طويلة المدى على اليسار أن يقوم بها وهو لا يزال خارج الحكم.

من هنا أوافق على ما كتبه الأستاذ «كريم مُروة» وأيده فيه الأستاذ «عماد عطية» عن ضرورة سعي اليسار مع القوى الديمقراطية الأخرى نحو القيام بعملية تحديث برجوازي في المجتمع. كما أن هذه الضرورة تبين لنا لماذا سعي «لينين» لتنفيذ ما أسماه بالسياسة الإقتصادية الجديدة التي تضمنت إجراءات لتشجيع عملية التنمية في المجتمع بالإعتماد على المجهود الفردي للملاك الفلاحين في الريف، والإستفادة من استثمار رءوس أموال أجنبية تُفتح لها الأبواب لدخول البلاد. مع ذلك نظراً للتخلف الشديد الذي كان قائماً في روسيا، ولمحدودية كوادر الحزب البلشفي لانعرف ما كان يُمكن أن يترتب على هذه السياسات، ولا نعرف لو عاش «لينين» هل كان سينتهي إلى مصير مختلف عما حدث لها على يد «ستالين»؟

لقد أراد «ستالين» أن يُعجل بالبناء الإشتراكي دون أن يُتيح الفرصة لنوع من التنمية الإقتصادية، والإجتماعية، ذات الطابع البرجوازي، فلجأ إلى الأساليب الإدارية القمعية، إلى القفز فوق المراحل، إلى إجبار الفلاحين على تكوين الجمعيات الزراعية التعاونية، والتخلي عن أساليب الإستغلال الفردي للأراضي، إلى القهر البوليسي، والسجون، إلى التصنيع بوتيرة متسارعة، وفي هذا الصدد قد يكون من المفيد أن أعود إلى الخلافات التي قامت بين «لينين» وأقطاب الدولية الثانية الذين كانوا أنصاراً للتطور التدريجي الديمقراطي البرجوازي الذي تلعب فيه الأحزاب الإشتراكية دوراً في التحول المطلوب نحو الإشتراكية، وهذا حتى وإن كانت قد

انتهت الإشتراكية الديموقراطية إلى ما انتهت إليه. كذلك ربما من المفيد أن نعود إلى الخلاف الذي قام بين جناح البلشفيك والمنشفيك في الحزب الإشتراكي الديمقراطي الروسي حول أسس تنظيم الحزب، فقد عارض المنشفيك فكرة المركزية الشديدة، واعتماد التنظيم الحزبي على محترفين ثوريين سريين. إنها جميعاً خلافات في أسلوب التفكير الثوري متعلقة بقضية الأسلوب الديمقراطي الجماهيري في العمل السياسي، وفي الإعداد للثورة. إنها قضايا ذات أهمية كبيرة في عمل الأحزاب اليسارية، وفي الإتجاهات التي ينبغي لها السير عليها في المستقبل فقد ظلت الأفكار اللينينية هي التي تسيطر لسنين طويلة على نشاط الأحزاب الشيوعية. أهمل اليسار الشيوعي الكتابات الأولي للإشتراكيين الديمقراطيين مثل «كاوتسكي» و«برنشتاين» و«روزا لوكسمبرج» وغيرهم بينما قد نجد فيها ما يُفيد في هذا الموضوع.

ربما على اليسار أيضاً أن يتمعن ما يحدث في الصين حيث يُوجد حزب شيوعي في الحكم. مع ذلك هذا الحزب يُشرف الآن على عملية تطوير رأسمالي عميق، وواسع النطاق للمجتمع الصيني فهل يعني هذا أن الحزب الشيوعي أدرك أهمية بناء مجتمع رأسمالي متطور قبل أن يتمكن من التركيز على بناء النظام الإشتراكي؟ أم معناه أنه انحرف بالشعب الصيني عن طريق الإشتراكية إلى الرأسمالية على نحو قد يُشبه من بعض الوجوه ما حدث مع الأحزاب الإشتراكية الديموقراطية في «أوروبا»؟ هل تخلي الحزب الشيوعي الصيني نهائياً عن أهدافه الإشتراكية وتحول إلى حزب برجوزاي يُصارع لكي تُصبح الصين الدولة الرأسمالية الأهم والأقوي في العالم؟ هل كانت هناك في نظرة الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية إلى التطور الإشتراكي جوانب صحيحة رغم أنها انحرفت عن مسارها لتُصبح أداة للرأسمالية

فيما بعد؟ وهل في السياسات التي يتبعها الحزب الشيوعي الصيني جوانب تتعلق بالتطور إلى الإشتراكية ينبغي الإنتباه إليها؟ مثل هذه الأسئلة لم تُطرح في المناقشات أو في الدراسات اليسارية لأننا مازلنا نتمسك بالمسلمات التي قادت خطواتنا حتى الآن.

أُريد أن أنتقل بعد ذلك إلى قضية المرأة. أشار إليها الأستاذ «كريم مُروة» في الأهداف التي حددها للنهوض باليسار في المجتمعات العربية. من وجهة نظري جاء ذكرها متأخراً نسبياً فهي مذكورة تحت الرقم السادس عشر في هذه الأهداف، بينما أرى أنها أهم من ذلك بكثير. هناك حقيقة ينبغي التنبه إليها وهي ألاَّ وجود للديمقراطية في مجتمع مبني على القهر الأبوي للمرأة، على التفرقة بينها وبين الرجل، على علاقات بين الجنسين مشوهة، مبنية على سيطرة الرجل على المرأة، في جميع المستويات وفي كل المجالات، امتداداً من الدولة وأجهزة الحكم في القمة، إلى الأسرة والزواج والأطفال في القاعدة أي في الحياة العامة المتعلقة بالسياسة، وفي الحياة الشخصية للرجال والنساء. هذا رغم أن المرأة تقوم بتحمل أعباء مهمة في جميع مجالات الحياة، أنها تُمثل نصف المجتمع بل ربما أكثر من نصفه. المجتمع الذي لايُطبق المساواة بين الرجل والمراة سيظل أعرجاً، والسعي نحو تحقيق هذه المساواة، وإلغاء التفرقة بين الجنسين واجب اليسار قبل غيره من التيارات والمنظمات في المجتمع مهما كانت هذه المهمة صعبة ومعقدة، فطالما أنه تُوجد تفرقة في مجال من المجالات، ستتسرب هذه التفرقة إلى كافة أنظمة ومناحي الحياة.

ليس من باب الصدف أن الإخوان المسلمين شرعوا منذ سنين في تكثيف نشاطهم بين صفوف المرأة. إنهم يُدركون أن السيطرة على المرأة جزء أساسي من فرض سيطرتهم على المجتمع، أن المرأة إذا إنحازت إلى التيارات الوطنية

الديمقراطية واليسارية في المجتمع ستُشكل عنصراً له وزن، وتأثير كبير على مختلف نواحي الحياة، ستُؤدي إلى تغيرات جذرية في المجتمع. إنهم واعون بهذه الحقيقة ويرون فيه خطراً عليهم. إنهم لذلك يخوضون معركة ضارية للحفاظ على عادة ارتداء الحجاب، وحتى النقاب، فالحجاب ليس مسألة شكلية. إنه غطاء للرأس، أي غطاء لجزء من الجسم الذي يحتوي على العقل. الحجاب يرمز إلى اعتبار المرأة مجرد جسد بلا عقل، دورها إمتاع الرجل، والإنجاب، وخدمة الزوج، ورجال الأسرة، والبقاء في البيت. دورها أن تظل عنصراً جوهرياً في الحفاظ على المجتمع الطبقي الأبوي، على تخلفه، على التفرقة الجنسية القائمة في كل المجالات. دورها ألاَّ تُشكل مع الرجل جزءاً من حركة التحرر والتقدم الإنساني الذي نصبو إليه. المطلوب هو أن يظل نصف المجتمع يعيش بلا إرادة وبلا فكر.

في النهاية أشكر الأستاذ «كريم مُروة» على كتابه الذي استفدت منه واستمتعت به، وأتمني أن تكون لنا معه لقاءات أخرى فنحن في حاجة إلى أن نتحاور مع اليساريين والتقدميين في البلاد العربية، أن نتبادل معهم تجاربنا وأفكارنا. في الختام أقول أنه مازال عالقاً بذهني قضية لم نطرحها، تساؤل ينبغي أن يُشغل أذهاننا. هل في عصر العولمة لا يزال يُوجد ما يُطلق عليه المشروع القومي المستقل، أي إمكانية للتنمية المستقلة في كل بلد على حدة؟ هل أصبحت المشاريع القومية جزءاً لاينفصل عن مشروع عالمي للتحرر، والديموقراطية، والتمنية الإقتصادية والإجتماعية التي تُؤدي إلى مُحاصرة سيطرة الشركات المتعددة الجنسية، ورأس المال المسيطر على عالمنا؟ هل توجد صيغة جديدة للنضال يُصبح فيها نضال شعوب العالم مترابطاً، ويُصبح فيه مشروعهم هو إقامة نظام بديل للعولمة الرأسمالية يربط ما بين الحركات القومية على نطاق العالم؟ هل يستطيع كل بلد أن يُواجه وحده القوى الإقتصادية

العسكرية العابرة للأوطان التي تحكم العالم بعد أن جعلت منه سوقاً موحداً تسيطر عليه؟

إصلاح عدلي (المتحدث باسم الحزب الشيوعي المصري):

أحيي الأستاذ كريم وأعتقد أن ميزة الجهد الذي قام به أنه وضع تحت يدينا فكر واضح لأنصار ما يسمونه بـ «اليسار الجديد» والذي بدأ يتبلور بعد انهيار تجربة الاتحاد السوفييتي. بدأ هذا الفكر هنا في مصر بكتابات د. رفعت السعيد عن الأسقف المنخفضة وهو منتشر أيضاً في العالم كله. ولذلك أرى أن الكتاب بحاجة إلى نقاش كبير وتساؤل أساسي هو هل لا يزال هذا اليسار الجديد بعد ٢٠ سنة من التحولات والتطورات التي لا أملك للأسف الشديد فرصة لتوضيحها يساراً جديداً أم أنه أصبح أيضاً يساراً قديماً؟ تقوم الماركسية نفسها كنظرية على عدم الإطلاق لكني أرى متفقاً في ذلك مع أحمد بهاء الدين شعبان وصلاح السروي- أن الجوهر الأساسي لكتاب الأستاذ كريم ينطلق من فكر ينطبق عليه فكر اليسار بمعناه الرحب وليس اليسار الراديكالي أو الماركسي الذي ينطلق من جوهر فكر ماركس المتمركز حول الصراع الطبقي. أتفق مع الأستاذ كريم في أنه هناك عالم جديد وتطورات كبيرة تحدث في العالم علينا دراستها لكن جوهر الأمور لا يزال كما هو. قال الأستاذ عبد الغفار: أن السؤال الأساسي المفترض أن يدور حوله النقاش هو هل بناء دولة ديمقراطية بالمفهوم المطروح في الكتاب النقطة البرنامجية الرئيسية في هذه المرحلة؟ من الممكن أن أوافق على أن الديمقراطية هامة وجوهرية وأساسية لليسار اليوم لكن المفهوم المطروح اختزل كثيراً من الأمور وسأورد مثلا واحدا على ذلك لأوضح كلامي. فالنقاط أو المستويات الأربعة الرئيسية في العدالة الاجتماعية التي تحدث عنها الأستاذ كريم تختلف كثيراً مع مفهوم اليسار لها. ذكر الأستاذ كريم

هذه النقاط كالآتي:

١-مستوي التقدم الاقتصادي

٢-ترسيخ الديمقراطية السياسية

٣-التكامل بين الدولة والمجتمع

٤-توعية المواطنين

وأتساءل هنا، أين التوزيع العادل للثروة؟ وهو في الواقع جوهر الأمور، أين مسألة الاستغلال؟، أين الهيمنة الأمريكية؟

أممدوح بكر (عضو اللجنة المركزية لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي):

لم أقرأ للأسف الشديد كتاب الأستاذ كريم لكني أقول من خلال ما سمعته من مداخلات الزملاء : أني أختلف معه في خطه العام لأنه يبدو أن طرحه أتبع كثيراً من المقولات الليبرالية وللأسف الشديد هذه هي أزمة اليسار التي بدأ يخوضها في الدول العربية عامة ومصر خاصة. أختلف مع المهندس عماد عطية فيما ذكره عن انتهاء فترة التحرر الوطني لأن حركات التحرر الوطني سواء الناصرية أو البعثية لم تنجز تحرراً كاملاً وناجزاً ولم تبن دولة مؤسسات ولم تتحرر كاملاً من التبعية، وهو ما كشفته حقيقة حركة الثورة المضادة في مصر في ١٥ مايو ١٩٧١ وما ترتب عليها وكذلك الحال بالنسبة لعراق البعث. لكن الحركة الشيوعية العربية كانت للأسف الشديد ذيلية والمثال الواضح على ذلك الحزب الشيوعي العراقي الذي تحالف مع البعث وكذلك قرار الشيوعيين الخاطئ في مصر عام ١٩٦٥ بحل تنظيماتهم والإندماج في مؤسسات الدولة الناصرية. أختلف أيضاً مع ما قاله د. سامر سليمان عن الدولة. وإذا كنا نميز في تلك المسألة ما بين حقبتي ما قبل الرأسمالية

والرأسمالية، فإننا حتى لو أخذنا المجتمعات القروسطية الإسلامية كنموذج وطبقنا عليها نظرية ابن خلدون عن العصبية سنجد أن الدولة فيها لم تكن إلا مجمل حكم القبائل والعصبيات فاستطاعت بذلك قبيلة مثل قريش بناء دولة وإقامة إمبراطورية لم تكن الهيمنة والسيطرة الطبقية كما هو معروف غريبة عنها. والدولة الرأسمالية كذلك وأعتقد أن بعض المتحدثين أفاضوا في هذه النقطة ولذلك لن أتطرق إليها. أريد أخيراً الحديث عن فكرة المرحلية. قدمت الأدبيات التروتسكية وتلك الخاصة بمدرسة التبعية، المهمشة للأسف الشديد مثل أدبيات سمير أمين وبول باران وغيرهما حلولا للخروج من هذه الأزمة. نحن بحاجة إلى برنامج حد أدني عاجل يتضمن بالأساس إقامة نظام حكم وطني ديمقراطي حقيقي يتخلص من الإستعمار والتبعية ويقيم اقتصاداً معتمداً على الذات وشكرا.

م. سعد الطويل

الكتاب بصفة عامة متأثر بالأوضاع في لبنان وهي ليست نموذجا لبقية الدول العربية وهذا يدعو لبعض التحفظ عند التعميم على البلدان العربية رغم ما يشملها جميعاً من إشكال الحكم الإستبدادي.

أتفق مع ما قاله المؤلف عن عدم التوقف عند أقوال ماركس، وأضيف أن الماركسية الحقيقية هي أن تبدأ من أقوال ماركس الأساسية وتتبع منهجه المادي الجدلي في تحليل الواقع الحالي لتصل إلى التاكتيكات الواجب اتباعها حالياً لتحقيق الهدف الإستراتيجي وهو مجتمع ينتفي فيه استغلال الإنسان للإنسان أي المجتمع الإشتراكي أو الشيوعي والتسمية لا تهم.

ومن هنا فالمجتمع الديمقراطي الذي يناضل اليسار لتحقيقه يجب أن تكون سمته الأساسية توجهه نحو العدالة الاجتماعية، وفي المدى الطويل تحقيق مجتمع

المساواة الخالي من استغلال الإنسان للإنسان. ويأتي ضمنا توفير التعليم الراقي والرعاية الصحية الكاملة والسكن المناسب لجميع المواطنين، مع ضمان بقية حقوق المواطنة كحرية الرأي والتعبير والإجتماع والتجمع في منظمات شعبية حرة كالنقابات والجمعيات الأهلية إلخ، ولم يؤكد الكتاب بما فيه الكفاية على التوجه الإستراتيجي لليسار كما هو موضح، واكتفي بالتركيز على الحقوق الفرعية، وبالتالي يمكن القول : إن ما يدعو إليه الكتاب هو إقامة منبر ديمقراطي ليبرالي وليس يسارياً.

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فقد أرجع عدم قابليتها الحل في المدى القريب «للغطرسة» الإسرائيلية، و«عجز» المجتمع الدولي عن إيجاد الحل، وهي نظرة بعيدة عن حقيقة القضية. فالقضية الفلسطينية نشأت عندما تبنت بريطانيا الإمبريالية مشروع هرتسل الصهيوني بإقامة دولة يهودية في فلسطين تكون القاعدة المتقدمة للتوسع الإمبريالي في المنطقة وشجعت الإستيطان اليهودي الواسع في فلسطين التي احتلتها بعد الحرب العالمية الأولي. وعندما زارت لجنة الأمم المتحدة فلسطين في عام ١٩٤٧ لدراسة الوضع على الأرض واجهتها العصابات الصهيونية بسلسلة من الهجمات الدامية على العرب والبريطانيين مما دفع أغلبية اللجنة للتوصية بالتقسيم. وقد وافق الاتحاد السوفييتي على هذا القرار رغم إعلانه أنه ليس الحل الأمثل،.ووافقت جميع التنظيمات الشيوعية على القرار لأنه- إلى جانب التأييد السوفييتي- قرر استمرار الوحدة الاقتصادية بين الدولتين، واستفتاء الشعبين بعد عامين على الوحدة مجددا. ولا ننسي أن حكومة السعديين وبقية الأقليات تحت حكم فاروق انتهزت فرصة الحرب لإعلان الأحكام العرفية لمحاربة الشيوعيين وبقية القوى الديمقراطية في مصر.

وأعلنت بريطانيا أنها لن تتعاون مع هذا القرار، وشجعت عميلها الأمير عبد الله على ضم الضفة الغربية من فلسطين لمملكته (وهو الذي كان قد اتفق مع جولدا مائير- بمباركة بريطانيا- على عدم مقاومة القوات اليهودية لدرجة أن جيشه بقيادة جلوب باشا والضباط الإنجليز تركوا لليهود نصف المنطقة العربية التي حددها القرار). واستولت مصر التي كانت تحت الاحتلال البريطاني على قطاع غزة وبه مائتا ألف من اللاجئين الفلسطينيين.

وهكذا عادت بريطانيا لفلسطين من الشباك بعد أن خرجت من الباب. ولا ننسي أن بريطانيا كانت تعتقد أنها الراعية الأصلية لإسرائيل وستحتفظ لذلك بنفوذها لديها. وبالطبع فإن إسرائيل الصهيونية كقاعدة أمامية للإمبريالية اتجهت بدلا من ذلك لزعيم وقائد الإمبريالية الجديد وهو الولايات المتحدة.

بناء عليه فالقضية الفلسطينية لن تجد حلا حقيقياً طالما بقي القطب الأوحد الأمريكي بدون منافس حقيقي على رأس العالم، وهو يحتاج لهذه القاعدة المتقدمة في هذه المنطقة الحساسة والغنية بالبترول على أن تبقي شوكة في جنب شعوب المنطقة على الدوام بوصفها استعماراً استيطانياً معادياً. ولا يمكن لأي عميل استعماري آخر أن يقوم بهذا الدور (كما كان السادات يتخيل مثلا)، ولهذا السبب لا تتوقف «الغطرسة» الإسرائيلية فهي جزء لا يتجزأ من نظام السيطرة الإمبريالية. وحتى الإنقسام الفلسطيني وهو بالفعل مما يساهم في استبعاد الحل، لا يخرج عن قواعد المؤامرة الإستعمارية فالدول التي تعادي حماس هي من توابع الإمبريالية الأمريكية في المنطقة، والدول التي تؤيد عباس ليست بأفضل من ذلك كثيرا! وانقسام الشعب الفلسطيني لا يخدم إلا الأهداف الإمبريالية.

وأتفق مع المؤلف في شجبه للشعوبية والشعارات الزائفة. فشعار «المقاومة»

يساء استغلاله كثيرا، ولا أوافق على تسمية العمليات الانتحارية الثلاثين التي قامت بها حماس خلال أربع أو خمس سنوات من أعمال المقاومة الحقيقية فهذه يجب أن تكبد العدو خسائر حقيقية في قواته أو عتاده بما يدفعه للتراجع أو الإنسحاب، أما قتل مائة أو مائتين من المدنيين إنما يعطيه حجة لتأليب الرأي العام العالمي على الفلسطينيين (مع أن هذا الرأي العام العالمي هو القوة الوحيدة اليوم التي تمنع إسرائيل من تنفيذ مخططاتها لإبادة الفلسطينيين أو طردهم من بلادهم أي الترانسفير). وحتى العملية الوحيدة للمقاومة التي نتج عنها أسر جندي إسرائيلي واحد (شاليط) وتوافق إسرائيل على مبادلته بألف أسير فتبددها حماس بالإصرار على الإفراج عن بعض قادتها ضمنهم. أما التصور الساذج أن شعب إسرائيل سيثور لقتل مائتي مدني (خلال خمس سنوات) على حكامه فيدفعهم إلى التراجع عن جرائمهم فهو في الحقيقة مبالغة في تصور أن إسرائيل بلد ديمقراطي يتجاوب فيه الحكام مع رغبات الشعب!

د.حلمي شعراوي (متطلبات الحوار الجديد حول النهوض الجديد لليسار العربي)

ليس الأستاذ «كريم مروة» في حاجة إلى اعترافنا بخبرته التاريخية كسياسي ومثقف لبناني، لكننا فقط نحسده دائما على ما أتيح له من خبرات واتصالات واسعة ومتنوعة في العالم، جعلت التنوع الذي عاشه في لبنان يشتبك بتنوع هائل في المكان والزمان. من هنا كان فهمه لما حدث في العالم من تطورات وما تقتضيه معايشتها من مدركات ذاتيه وموضوعية على المستوي العربي، وهو في كل ذلك يطرح نفسه للمناقشة المعمقة، ويعتبر- عكس الكثيرين- أن هذه المناقشات من حول كتاباته جزء من آليات معرفته بالعالم، وبالمثقفين من مواقع مختلفة، وأذكر أننا سبق أن ناقشنا أفكاره بالقاهرة لساعات في مركز البحوث العربية والإفريقية، وتعمقت

الاختلافات كما برزت أوجه الاتفاق، وإذ به يضع وقائع هذا الملتقي في صدر الكتاب الذي صدر تعريفا بفكر كريم مروة أواخر التسعينيات، وها هو، بعد أن أصدر العديد من كتبه الغنية بالأفكار، يأتي إلينا في القاهرة حاملا لكتاب يعتز به كإثراء للمستقبل وليس مجرد تحليل للماضي في قضية تعبر عن هموم وآمال الجيل المنصرف كما هي للجيل الصاعد، ذاك هو كتاب «نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي». فنلتف حوله نناقشه بكل ما لدي الجميع من مسلمات أو تجديدات، ولنضع أمامه نصا قد يراه مفيدا لمزيد من الإضافة من جانبه.

لأني أعرف كريم مروة لأكثر من ربع قرن، فإني أعرف مرونة تفكيره إزاء النصوص والقوالب الجامدة، ورغبته في طرق أبواب الجديد، ولذا أتوقع مغامراته دائما ومن ثم توقعت من عنوان هذا الكتاب، ما هو أبعد من أن يكون «إيديولوجية» للواقع المتغير، ولا أن يقترب من الظواهر «بأفكار مسبقة»، واستبشرت من ذلك كثيرا، ووجدت ملامح كثيرة لهذا المنهج بالفعل، خاصة في عرضه لقضايا المستقبل. لكن الأستاذ «كريم مروة» لم يستطع أن يتخلص كثيراً من تكوينه الفكري الراسخ، وأعباء ماضية فراح يلزمنا في عديد من المواقع بالكتاب بنصوص تاريخية من ماركس وانجلز ولينين، وهو ما اعتقد أنه راغب في تجاوزهم بالتأكيد، ولم أر فائدة كبيرة لهم بالنسبة لاجتهاداته إلا أن يكون مخاطباً البعض ممن لا يزالون يتشككون في إمكانية التجديد!

وأنا مازلت أتساءل: هل تصل مناوشتي هذه لطبيعة اختياراته للنصوص الملحقة التي توقفت أيضاً عند جرامشي؟ مع أنه منتبه في تقديمها لأهمية الكثيرين المحدثين عنهم، من لوكاتش حتى هسيا وبينغ؟ وبالطبع فإني لا أتوقع عملا موسوعياً يدور بنا إرجاء التاريخ والجغرافيا، ولكني على أي حال كنت أرجو أن

يكون «كريم» كريما مع الماركسيين الشبان لجرهم إلى الجديد باعتراف ماركسي قديم مثله بهؤلاء وغيرهم من ماركس ماركسي العالم الأول بل والثالث أيضا.

ومادمنا نشير إلى العوالم الأخرى« والعالم الثالث، فليدعني «كريم مروة» أسأل عن سبب غياب أي إشارة إلى التجربة الصينية قديما أو حديثا في أي موقع بالكتاب وهو الذي خبرها وكتب عنها باحتداد أحيانا ولكنها تظل جديرة بالعرض النقدي، وضمن تجارب العوالم الأخرى الذي نطالبه بتحديد موقعنا منها بدلا من تجاهله لأية إشارة إلى هذه الخبرات التاريخية والحديثة في هذا العالم، وقد كانت رؤيته ضرورية أيضاً من مخضرم قديم يخوض في غمار الحداثة والتجديد وأنا أعرف كيف أن خبرة «كريم مروة» بهذه «العوالم» المتعددة، قد وصلت به من آسيا لإفريقيا لأمريكا اللاتينية، وأعرف صداقاته وعلاقاته الحميمة من الهند إلى جنوب إفريقيا إلى البرازيل وفنزويلا وغيرها. ألسنا في حاجة دائمة لإشعار أجيالنا الحديثة بتراث الماركسية واليسارية عموما على صعيد العالم، الذي عرفه الماركسيون العرب جيدا، وإن لم يعبروا عنه بنفس ما يتطلب من عمق.

ألم يكن ذلك يساعد «كريم مروة» على مقاربة وضع اليسار العربي في هذه الفترة مع العوالم الأخرى بدل عالم الأممية التقليدية التي أعرف ملاحظاته عليها. وهل كان ذلك سيجعله يعالج «المسألة القومية» عند الماركسيين العرب على نطاق أوسع وبضرورات أرحب من عنفنا مع المفهوم!. وهل تساعد التطورات الحديثة والإقليمية على مزيد من تواجدهم أمام قضايا الوطن الملحة أم يبقي التقسيم القطري حتى في مجال فكري، رغم اكتساحات العولمة للقطري والإقليمي على السواء؟ هل يمكن أن اقول للاستاذ كريم أن كلمة «العالم العربي» لا تعبر عن شئ، ولا يوجد لها مثيل في العالم، ويكاد يكون مصطلح «الإقليم» أو «المنطقة» أكثر تعبيراً

إذا كان ثمة تصميم على رفض كلمة «الوطن العربي»؛ والوقوف عند حد التكامل بين دوله؟

دعنا نعود للنقطة الأساسية وهي أن الأستاذ كريم لابد أن لاحظ غياب التنظيمات العربية عموما، حزبية أو أهلية عن تجمعات لبلدان الجنوب لا يجب أن تغيب عنها فكراً أو رؤية للعالم. وأختصر هنا بأني أقصد منتديات العولمة الجديدة مثل «المنتدي الاجتماعي العالمي» الذي اجتمع في مواجهة تجمع دافوس، ولمسنا قمته في بورتو أليجري وبومباي. وكذا «منتدي البدائل العالمي»، وذلك في بحث العرب عن وجودهم مع آخرين في داكار وباريس. مثلما سبق أن «وجدو» بقوة في حركة عدم الإنحياز، أو تجمع الدول النامية... إلخ. وأنا أثير ذلك بالشكل السابق إنطلاقاً من أن الأستاذ كريم يخاطب حركة شعبية عربية بالأساس ويتحدث عن المستقبل لوجود العالم «مع الآخرين» تنوعوا الآن بالتأكيد، ولا أعني هذه النظم الإقصائية، والتي لا ينفع معها تفكير ولا اقتراب.

شعرت في بعض الفقرات المتناثرة التي يرد فيها ذكر الدولة، الوطنية، أن الفكرة تبدو قلقة عند الأستاذ كريم بين الاحتياج لضبطها لتطور المجتمع وخاصة الاقتصادي، وبين رفضها بسبب تاريخها الاستبدادي وطنية أو شيوعية في هيئة رأسمالية الدولة. ويظل الحكم عنده حائراً بين كفاية الديمقراطية والحريات لبقاء الدولة الوطنية، وبين نفي مفهوم الدولة الوطنية لصالح «دولة وسمنستر» الليبرالية. بل يذهب (ص ٣٧ مثلا) إلى صعوبة تحديد طبيعة النظام البديل، وحين يسأله القارئ أو القوى الجديدة أن تبدع بديلها فالتحذير الوحيد عنده يكون من الإيديولوجيا!!.

تصورت أيضاً أن يعالج الأستاذ كريم بتفصيل ضروري مسألة «القوى الفاعلة»

في المجتمع الجديد الذي يتحدث عن مستقبله، وأعني به الأحزاب السياسية والمجتمع المدني الذي يشير إليه أيضا، لأنني افتقدت هذا البعد في النص المنشور. وقد يكون إحباطنا جميعاً من الأحزاب القائمة سبباً في هذا التجاهل، لكننا نعرف أيضاً أن الإنسان حيوان سياسي، وأن «المملكة السياسية» هي بديل المملكة السماوية أو الدينية، ولابد أن يحدد مفكر مثل كريم مروة تصوره للحزب؛ لأن حالة لبنان مثلا تختلف كثيراً عن حالة مصر، وكلاهما على ما يبدو ينفي حرية التعامل أو التداول في مملكة سياسية حقيقية. وقد فسرت لنفسي رفض الأستاذ كريم لذكر أية واقعة تتعلق بالبلدان العربية، حتى يحتفظ النص ببراءته الفكرية، وهذا أقدره؛ وإن كانت تصنيفات أحزابنا في الوطن العربي جديرة بالبحث، الحديث يطول مع الأستاذ الصديق كريم مروة، ولابد أن أتوقف هنا حتى لا أثقل عليه، خاصة إذا مررنا على عشرين نقطة يوردها في برنامجه المستقبلي، وأرجو أن تكون الإشارات السابقة جميعاً ذات هدف مستقبلي وليس نوعاً من الوقوف على الأطلال كما قد يبدو في عرض بعضها بما لا أريده فهي مجرد رغبة في انتظار تأملات معمقة أثق أن كريم مروة قادر عليها، كما أن حوار جادا على المستوي العربي، ومن جانب القوى الشابة خاصة، سيكون ذا فائدة حقيقية «لنهضة جديدة لليسار العربي».

في ختام الندوة عقب كريم مروة على المناقشات باختصار.